مفهوم الحرية عند العرب المسلمين
في مصادر العصر العباسي
132 – 656 هـ / 749 – 1258 م

أ . م . د . ندى موسى عباس

المقدمة

أتسمت هذه الدراسة بمتعة بحثية في جمع الحقائق وتفكيكها ومن ثم تأويلها . إذ تم تتبع مفهوم مصطلح الحرية عند العرب قبل وبعد الإسلام ، في دراسة معرفية وتاريخية . فمع توسع نطاق البحث في المصادر اللغوية والتاريخية والأدبية والتراثية ، كانت ملامح الدراسة تتضح شيئاً فشيئاً ، فقد تبين إن صفة الحر ومفهوم الحرية ، قد توظفت كرمز أخلاقي ودلالة منظمة لسلوكيات العرب في حياتهم اليومية ، ورسمت كصورة شعرية وأداة خطابية لتعبر عن أمجاد العرب ومفاخرهم ، ولتكون شاهد حاضر في أمثالهم وحكمهم .

يرى المؤرخ والخطيب الروماني تاكيتوس ***Tacitus*** ﴿1﴾ ان " أسمى وظائف المؤرخ هي ألا يترك عملا ذا قيمة دون أن يبرزه وان التاريخ ينبغي ان يدعم الأخلاق العامة والخاصة " ﴿2﴾ . ومفهوم الحرية المرتبط بالقيم الأخلاقية عند العرب قبل وبعد الإسلام يعد كنزاً اجتماعياً يعتزون به أمام الشعوب . والحكمة العسكرية الفرنسية تقول : " رشاشا واحدا في مكانه المناسب يمكنه إيقاف كتيبة بكاملها " ﴿3﴾ . وهنا يتناسب معها القول ان " قيمة [أخلاقية] واحدة في مكانها المناسب تستطيع أن تحّرك تاريخاً بكامله " ﴿4﴾ .

المفهوم (***Concept***) في هذا البحث هو دراسة كيفية تحول المفردة اللغوية (الحرية) إلى مفردة تاريخية (مفهوم الحرية) ، وبيان ما حمله مفهوم الحرية عند العرب قبل وبعد الإسلام من معاني عقلانية وصفات أخلاقية . وارتباط الحرية عندهم في جوهرها بالمنظومة الأخلاقية المثالية التي أحبها العرب أكثر مما احبوا أنفسهم ، وذابت شخصيتهم فيها وكانوا شديدي الحرص من أجل الحفاظ عليها .

عكست صفة الحرية الأصول القيمية الثابتة في المجتمع العربي ، لدورها في توجيه سلوك الفرد منهم وتأثيرها الاجتماعي الواضح . فشكلت عندهم نمط من أنماط التصنيف الأخلاقي والمعنوي عند العرب ، لا سيما مع إدراكهم بقيمة الحرية ، ووعيهم بمصدرها العقلي المتحكم بشعورهم التأنيبي (الضمير) .

يستند البحث على ثلاثة محاور فضلا عن المقدمة والخاتمة وقائمة المصدر والمراجع ركز المحور الأول على أصل لفظة الحرية ومعناها في المعاجم اللغوية والقرآن الكريم . فيما تناول المحور الثاني المفهوم الأخلاقي والاجتماعي للحرية عند العرب قبل وبعد الإسلام . وجاء المحور الثالث ليتوسع بمسألة دلالات الحرية عند العرب ، التي تمثلت في الإرادة وتحمل المسؤولية والإيفاء بالعهود والإباء والعفة والكرم والسماحة .

المحور الأول : الحرية لفظاً ومعناً .

1- الحرية في معاجم اللغة :

اللغة هي التي تبني في الإنسان اجتماعيته كما انها تعبر عنها ، اذ توصل خبراته التراكمية وتنقل فكره وعواطفه ، وهي المنبع الذي تتدفق منه كل الرؤى والتصورات الإنسانية [5] . فهي أداة من أدوات الواقع المجتمعي منه وإليه تظهر ألفاظها ومعانيها ويترسخ مفهوم مصطلحاتها ، بقدر ما يحتاجه أفراد المجتمع ، ويختفي من مفرداتها وألفاظها ومعانيها ومصطلحاتها من التداول بقدر توقف حاجة أفراد المجتمع اليه .

يعتقد الأصمعي [6] ان الكلمات لها معاني واقعية ، فاذا تبدلت هذه المعاني أو تغيرت فكرتها العامة (مفهومها) ، لم يعد العرب يتكلمون بها ، كما في قوله : " قد كان للعرب كلام على معان ؛ فإذا تبدلت تلك المعاني ، لم يتكلم بذلك الكلام ؛ فمن ذلك قول الناس اليوم '' ساق إليها صداقها '' ، وإنما كان هذا يقال حين كان الصداق إبلا وغنماً ، ومن ذلك قول الناس اليوم : '' قد بنى فلان البارحة على أهله ، وإنما كان هذا لمن كان يضرب على أهله خيمة ، وذلك هو بناؤه '' [7] .

اشتقت كلمة الحرية من الجذر حر ، وجمعها أحرار وحرائر وحريات وتصريفها تحرر تحريراً وتحرير [8] . والحُرُّ بالضم عند العرب هو نقيض العبد والحُرّةَ هي خلاف الأمة والجمع حرائر [9] ، والحر من كل شيء هو أفخره وأعتقه ؛ فحر الأرض هو وسطها وأطيبها والطين الحر هو الطين الذي لا رمل فيه ورملة حُرّ : لا طين فيها . وحرية العرب أشرافهم وخالصهم ، وعمل حر بمعنى عمل حسن من شريف ذي رفعة [10] . كقول الحريري :

عَزَمْتُ[أقسمت] على مَنْ خُلقَ مِنْ طينَةِ الحُرَيةِ [11]

وقالت العرب سحابةٌ بكر حُرّة أي غزيرة المطر كريمة ، كقول الشاعر والفارس عنترة بن شداد [12] :

جادت عليها كُلَّ بكر حُرَّ فَتَرَكْنَ كلَّ قَرارة كالدرهم [13]

إن العتق عند العرب هو التحرر من العبودية ، ومن هنا جاء العتق بمعنى التكريم فعبد عتيق اي ارتفعت مكانته عن العبودية وحلت له الكرامة ، وعتق العبد هو تكريمه بتحرير رقبته من رق العبودية . ولذلك كانت تسمية العتق تشير الى الكرامة والاحترام والحرمة ، فسمى العرب الكعبة المشرفة بـ البيت العتيق أي المكرم والمحترم ، وقولهم وجه عتيق اي انه وجه حسن اعتق من الدمامة والقبح [14] .

يأتي العتق اذن بمعنى تحرير رقبة ، وهو تخلص العبد من الذل والمهانة بخدمة اي احد يمتلك رقبته ويتحكم بحياته وينتقص من كرامته [15] . فكان العتق والتحرير من افضل الاعمال لنيل الحسنات عند الله عز وجل بمفهوم المسلمين كقول جرير [16] :

حررّ كليباً إن خير صنيعة يوم الحساب العتق والتحرير [17]

****

2- الحرية في القرآن الكريم :

لم ترد كلمة الحرية في القرآن الكريم ، فيما وردت كلمة حر في أربعة مواضع منها معنى القصاص الحر لا يقابل الا بالحر ، فهو خلاف العبد بقوله عز وجل : " يا أيها الذين آمنوا كُتِبَ عَلَيكُمُ القِصاصُ في القتلى الحُرّ بالحُرّ والعَبّدُ بالعَبدِ "[18]. وتصريفها تحرير ومحرر ، والمقصود به هم العبيد المؤمنين المحررين من رق العبودية ، وكذلك يأتي العتق كتكفير عن الخطأ فيكون بـ " فتحرير رقبةٍ" [19].

ان حرية المرء في الإسلام أصبحت شرعاً لا عرفاً ، وأصابت من قلوب الرجال والنساء على السواء الشغاف والسويداء. ففي القرآن الكريم ، تعني تحرر المرء من التعلق بأي شيء بهذه الدنيا ، فهو الخالص المخلص بعبوديته ونذره لله عز وجل ، وكما جاء في محكم كتابه العزيز : " رَبِ إني نَذَرتُ لَكَ ما في بَطْني مُحَرّراً فَتَقَبَلْ مني " [20].

في شهادة "لا إله إلا الله " نفيٌ للعبودية لغير الله كائنا من كان ! وبات شعار الأيمان بالوحدانية ميثاقا للتحرر من العبودية لأي شيء في الوجود كمثل قوله عز وجل في محكم كتابه العزيز : ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إصْرَهُمْ والأغلال التي كانَتْ عليهم ﴾ [21] فالتوحيد والإيمان بالله سبحانه وتعالى ، والإقرار بعبوديته هو ما يجعل الأنسان يتحرر من كل عبودية .

****

المحور الثاني : البعد الأخلاقي والاجتماعي لمفهوم الحرية .

1- الحرية في المنظومة الأخلاقية .

في سيكولوجية الشعوب دائماً هناك ثوابت قيمية ضمن منظومتها الأخلاقية تعد من الأصول الدائمة التي لا يعتريها الفناء ، ولا يقع عليها حكم الزوال قطعاً مهما تجددت الغايات وتبدلت المعاني وتغيرت المفاهيم .

من المعروف ان المفهوم عادة ما يسبق المصطلح مع أن الدراسة تبدأ بالمصطلح ، ثم يدخل المنطق بمسألة التعريف والاستدلال الصحيح للمفهوم فالفكرة تظهر أولا ثم يتعمق مفهومها ، بشواهد القول ودلائل الممارسة السلوكية لتطلق بعدها النعوتات والمصطلحات .

الحرية كمصطلح هي تسمية لوصف حالة ، وقد قرنها العرب في واقعهم العملي بصفات أخلاقية نبيلة وسامية لعبروا عن مدى اعتزازهم بها ؛ إذن فكل من يخالف الحالة عندهم فهو مخالف للاسم ولصفاته ؛ فمن المؤكد ان الإحساس بصفة وحالة الحرية عند العرب ، هو الذي يسبق الالتزام بالمنظومة الأخلاقية الحسنة . فالإرادة الحرة هي شرط الأفعال الحسنة عند اي فرد فالمتبوع لا يملك إرادته لكي يختار سلوكياته الحرة لأنها مصادرة سلفاً ومحكوم عليها بالعدم من قبل التابع .

لم يخضع عموم العرب قبل الإسلام لسلطة سياسية صارخة ، وهذا عامل من العوامل التي جعلتهم يعشقون الحرية ويذوبون فيها ، فعدوها عنوانهم وهويتهم ، التي تسبقهم في التعريف عن أنفسهم ، فهم كأحرار لم ولن يبيعوا انفسهم للذل والهوان أو للفعل الدنيء الخسيس . ولقد أشعرهم حماسهم هذا للحرية ، بالحاجة الماسة لأن يسوروها بأسوار ذهبية المتمثلة بمنظومتهم الأخلاقية المتحكمة بشعورهم التأنيبي (الضمير) ، لتتناسب وجلالة الحرية وقدرها عندهم . وعليه فالأخلاق الحرة هي أخلاق منزهة ومستنبطة من مفهوم الحرية عندهم .

ولعل من نتائج أتخاذ العرب قبل الإسلام اتجاها أخلاقياً لمفهوم الحرية ، ان يكون هذا الاتجاه سبباً للانسجام التام للمفهوم فيما بعد مع مفاهيم القرآن الكريم الذي كان بمثابة كتاب أخلاقي بإطار ديني ؛ فقد أضيفت اليه معاني التقوى والعلم والعمل . ولكن السؤال الأكثر إلحاحا هنا هل سمت الأخلاق الحسنة نحو الحرية فعرفت بالأخلاق الحرة أم إن الحرية هي التي سعت نحو الأخلاق فوسم الحر بالخلق النبيل ؟ !

عرف العرب بعقليتهم وبصيرتهم الواعية ، فهي مصدر أدراكهم لأهمية وقيمة الحرية في حياتهم ، ولطالما حرص أشراف العرب في ان تكون هذه الأخلاق الحرة ، كقطب جاذب يستقطب متوالية أخلاقية ؛ فكل صفة أخلاقية تسحب خلفها صفة أخلاقية أخرى ؛ فالمتعارف عند العرب ان لا حرية بلا أخلاق ولا أخلاق بلا حرية ؛ بمعنى " تعذر قيام الأخلاق دون التسليم بحرية إرادة الأنسان " ﴿ 22 ﴾ .

إن مفهوم الحرية عند العرب قبل الإسلام ليس من نسج خيالهم الأدبي ، ولا هو عالم افتراضي (مثالي) صنعوه ، ولا فكر طوباوياً أو يوتوبياً اخترعوه إنما كان وجودياً من واقع عاشوه ؛ فدلالاته السلوكية والفردية والجماعية عندهم واضحة تمام الوضوح . ولم تكن رؤيتهم له (مفهوم الحرية) ابدا في يوم من الأيام مضطربة ، ولا مشتتة ولا متناقضة . كما انهم وبلا شك يدركون ان مصدر الوعي بمفهوم الحرية هو العقل والضمير ، ولذلك فهم اي العرب لم ينتهوا إلى مفهوم أعظم نبلاً ولا أكثر قومية منه ﴿ 23 ﴾ .

تشرب العرب مفهوم الحرية قبل الإسلام رجالا ونساءاً ، فالمرأة المسبية بالغزوات تبقى مسبية عدة سنوات متعاقبة وقد تلد الأولاد ولكنها تبقى تواقة إلى حريتها ، متشوقة لكسر

أسرها [24] . وفي ذلك مثال قصة سلمى زوجة وجارية وأسيرة عروة بن الورد التي ظلت تفكر بالعودة إلى أهلها ، حتى بعد ان مكثت سبع عشرة سنة وولدت الأولاد وهو لا يشك أنها ارغب الناس فيه ! حتى اذا نجح تدبيرها ولم يبقى لعروة سوى ان يخيرها بالبقاء أو الرحيل اختارت أهلها لتعود اليهم حرة أبية ؛ فقد غاب عن بال عروة ان الحرية عند نساء العرب كما هي عند رجالهم أثمن من الزوج والولد [25] .

بمكارم الأخلاق فرق العرب قبل وبعد الإسلام ، بين الأحرار وبين العبيد والرقيق والأقنان وبين الحرائر وبين الجواري والإماء ، فالعرب يتبرؤون مما يسمونه بـ " طينة الرق " [26] ، أي نبذ أخلاق العبيد والنأي بأنفسهم منها فالمديح متلازم للفعل الحسن وسببا له عند الحر والحرة ، كما ان الذم مستحق على الفعل القبيح وباعثاً اليه ومقرونا بالعبودية [27]. وكان العربي يوثق كلامه شفهياً بلا ضمانات غير ضمانة منظومته الأخلاقية ، كقول شاعرهم :

واهاً لحُرٍّ واسِعٍ صَدْرَهُ وَهَمُّهُ مما سَرّ أهلْ الصَلاحْ ! [28]

وقولهم :

ويلك أما ناجتك هاتيك الملح بأنني حر وبيعي لم يبح [29]

لقد أشار التوحيدي [30] إلى مسألة ربط العرب حريتهم بالفضائل بقوله : " وجعلوا شيئاً ينتهون به عن المنكر ويرغبهم في الجميل ، ويتجنبون به الدناءة ويحضهم بينهم [يحرضهم ويشجعهم] على المكارم ، حتى ان الرجل منهم وهو في فجٍّ من الأرض يصف المكارم فما يبقي من نعتها شيئاً ، ويسرف في ذمّ المساوئ فلا يقصّر ، ليس لهم كلام إلا وهم يُحاضّون به على اصطناع المعروف ثم حفظ الجار وبَذْل المال وابتناء المحامد ، كل واحد منهم يصيب ذلك بعقله ويستخرجه بفطنته وفكرته ، فلا يتعلمون ولا يتأدبون ، بل نحائزُ [عادات وطبائع] مؤدبة وعقول عارفة ؛ فلذلك قلت لكم : إنهم أعقل الأمم ، لصحّة الفطرة واعتدال البنية صواب الفكر وذكاء الفهم " [31].

لعل في مقدمة ضرورات الالتزام بالقيم الأخلاقية ؛ هي أنها تعد من ضوابط وحدود ممارسة الحرية . فالأنسان في داخله لا يفكر ولا يهتم بحقوق وحاجيات الآخرين . ولديه الاستعداد الكامل لكي يفعل في هذه الحياة ما يخدمه هو فحسب فعقله مرتبط ارتباطا مباشراً بسعادته وحزنه هو وليس بأمور أخرى ، ألا انه في الوقت ذاته لديه القدرة الفطرية لأن يكون في غاية النبل الأخلاقي إذا شاء . فكما " أن العقل هو المكان ذاته الذي نستطيع أن نصنع فيه جحيماً من الجنة أو جنة من الجحيم " [32].

يفترض التوحيدي إن الأحرار الكرام بمفهوم العرب قبل الإسلام ينؤون بأنفسهم عن أخلاق العبيد الموسومة باللؤم والخسة والدناءة والذل والمهانة ، ولا يتصفون بها ولا يمكن ان يوسموا بها بقوله : " هيهات هذا بعيد من القياس وغير معهود بين أحرار الناس ،

الـذين لهـم اهتمـام بصـون أعراضـهم وحـرصّ علـى إكـرام أنفسـهم ، وقـد عبقـوا بفـواتح الفتـوة وعلقـوا بحبائـل المـرؤة ، وشـدوا مـن الحمـة [أخـذوا] أشـرف الأبـواب واعتـزوا مـن الأدب إلـى أعـز حَـرم وحـازوا شـرفاً بعـد شـرف وأنحـازوا [العيـب والفسـاد] عـن نطـف ونظـروا إلـى الـدنيا بعـين بصـيرة وعَزفـوا [أعرضـوا] أنفسـهم عـن زهرتهـا بتجربـة صـادقة [زهـدوا فـي الـدنيا عـن خبرة] "﴿ 33 ﴾.

كمـا رأى التوحيـدي فـي تمييـزه لمعـدن الحريـة عنـد العـرب ، ان الأحـرار الصـادقين مـنهم كـانوا يتبعـون سـجية الصـلاح والإصـلاح فهـم : " الـذين يصـلحون أنفسـهم ويصـلحون غيـرهم بفضـل صـلاحهم ...الـذين كـانوا يتّسـعون فـي أحـوالهم ويوسَّـعون علـى غيـرهم مـن سـعتهم وكـانوا يهتمـون بـذخائر [مـا يجمـع لوقـت الحاجـة] الشـكر المعجَّـل فـي الـدنيا ، ويحرصـون علـى ودائـع الأجـر المؤجَّـل فـي الآخـرة ، ويتلـذذون بالثنـاء ويهتـزون للـدعاء ، وتملكهـم الأريحيـة عنـد مسـألة المحتـاج ، وتعتـريهم الهـزَةُ معهـا والابتهـاج وذلـك لعشـقهم الثنـاء البـاقي ، والصـنيع الـواقي ويريـدون الغنيمـة فـي الغرامـة والـربح فـي البـذل [العطـاء قـدر مـا يسـتطاع] والحـظّ فـي الإثارِ[عدم تفضيل الشيء والاختصاص به] والزيادة [للخلف المنتظر من الله] " ﴿ 34 ﴾ .

تشـدد المتنبـي﴿ 35 ﴾ فـي حصـر الأخـلاق الحـرة التـي يسـميها بالمكرمـات بـالأحرار ونفيهـا عـن العبيـد ؛ ذلـك أن الحـر برأيـه يـتعلم المكرمـات مـن آبائـه الأحـرار فـي حـين إن العبيـد الأقنـان لا يمكـنهم أن يكتسـبوا المكرمـات لانهـم مـن طينـة اللـؤم ففـي هجـاؤه لكـافور ﴿ 36 ﴾ حـاكم مصـر وهـو مملـوك يتسـاءل عمـن كـان سـيتعلم كـافور المكرمـات وقومـه أنجـاس لا خيـر فـيهم أراذل لئـام؟ ؛ فكـافور بـرأي المتنبـي مملـوك قـد أشـترى بـثمن إن زيـد عليـه قـدر فلسـين لـم يشـتر لخسـته وهـو أحـق اللئـام بـأن يعـذر علـى لؤمـه لعجـزه عـن المكـارم ، وهـذا العـذر علـى الحقيقـة تقريـع لكـافور وتعييـر . يـرى المتنبـي انـه كيـف لا يعـذر كـافور علـى لؤمـه وعجـزه عـن المكرمـات ، وهـو عـاش عمـره عبـد مملـوك قبـل ان يصـبح حاكمـا لمصـر ؛ فـاذا كـان اهـل الجميـل مـن الأحـرار يعجزون عن فعلها ! فكيف يقدر عليها من ليس من أهلها ﴿ 37 ﴾ .

****

2- البعد الاجتماعي للحرية .

أعتبـر العـرب الحريـة أكـرم صـفة يمكـن أن يعرفـوا بهـا ، وكـان احساسـهم بهـا يملـئهم شـعوراً بالكرامـة والعـزة ، فغـدوا يتحسسـون لهـا لدرجـة انهـم مـن الممكـن أن يثـوروا وينتفضـوا مـن أجـل التفـاخر بهـا فـي أبسـط الأمـور ، وبشـكل مبـالغ فيـه إلـى حـد التقاتـل بـين قبـائلهم ﴿ 38 ﴾ . وجـاء الإسـلام ليؤكـد علـى احتـرام كرامـة الشخصـية الإنسـانية ، التـي لـن تكـون وافيـة إلا مـع الحريـة فالإنسان بلا حرية هو حتما بلا كرامة ، وهكذا باتت الحرية قيمة سماوية مطلقة .

اذن فالحرية مرادفة للكرامة ، والكرامة عند العرب هي الارتفاع عن الدونية والحطة ، وفي القرآن الكريم الكرامة هي المكانة السامية العالية للإنسان والمسخر لها ما حولها بقوله عز وجل : ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾ [39] ، وقوله سبحانه : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ [40].

تسمي العرب المرأة الحرة بالكريمة للدلالة على المكانة [41] . وفي ذلك يقول السيد الحميري [42] :

بانت كريمتهم عني فدارَهَم داري وفي الرحبْ من أوطانِهم وطني [43]

حظي الأحرار عند العرب والمسلمين بمكانة كريمة مقدرة ومنزلة وجيهة ومحترمة فكلمة حر في التراث العربي الإسلامي مرادفة لكلمة سيد وشريف فالأنسان الحر يحمل كل الصفات النبيلة والأخلاقيات السامية ، وكذلك يرتكز على العادات والتقاليد المقبولة في مجتمعه ، وقد عبر عنها بمدلولات سلوكية .

عرف العربي بعشقه الفطري للحرية ؛ فهو يحيا لها ويموت من أجلها ! ولم يعدل بها اي شأن من شؤون الحياة ، وفضلها على قوته الضروري . وأعتبرها قوام حياته الأصلي وبقيت هذه الطبيعة مستحكمة في نفسيته طوال العصور [44]. وما ذاك إلا لنشأته حرا طليقا لا سلطان لأحد عليه ، فالصحراء كانت سببا في بعده عن غزوا الأعداء وحكم الأمم الأجنبية فلم تخضع أراضي العرب لأي حكم من أمم أخرى غير أمتهم . والأمر الذي لفت نظر المؤرخ اليوناني هيرودوتس ***Herodotus*** [45] ؛ فأشار إلى حبهم الجم للحرية وسعيهم للحفاظ عليها ومقاومة أية قوة تحاول استرقاقهم أو التسلط عليهم . ولا يخفي هيرودوتس إعجابه الشديد بإباء العرب واعتزازهم بأنفسهم وبحريتهم ، وربطهم الحرية بدلالة إيفائهم للعهود فينوه عن هذه الصفات قائلاً الصفة : " لم تعرف أمة تقدس العهود وتحترم المواثيق مثل العرب ، وأن العرب هم الأمة الوحيدة التي لم ترضخ للفرس ، بل عقدت معهم التحالفات على قدم المساواة " [46] .

هناك الكثير من التساؤلات ، التي تثير جدلاً حول أسباب بروز عشق العرب للحرية أكثر من سواهم ؟ ! فهل لذلك علاقة بأي سبب من الأسباب والمسائل الآتية الذكر :

1- البيئة الصحراوية القاسية .
2- التميز الطبقي في المجتمع لوجود الرقيق والعبيد والأغنياء والفقراء .
3- الاحتكاك بسكان الحواضر والمدن ، واحتمالية الاختلاف بمفهوم الحرية عند العرب البدو عن العرب الحضر .
4- الصفة الأدبية والمعنوية للأخلاقيات الحرة في المجتمع .
5- التركيز من قبل الرجل بشكل عام على مفهوم الحرية أكثر من المرأة .

رب سائل يسأل هل يختلف مفهوم الحرية عند الحضر عنه عند الوبر ؟ ! مع أن العرب من حيث الاستيطان انقسموا إلى قسمين سكان الحضر وسكان الوبر، وهناك اختلاف وفروق بطريقة العيش بشكل واضح ما بين الحضر الذين سكنوا بيوت ثابتة ومارسوا الزراعة وتعلقوا بأرضهم واستقروا بها وشكلوا مجتمعات طبقية ، بينما ظل أهل خيم الوبر يتنقلون من مكان لآخر سعيا وراء مصادر الماء والكلأ . إلا أنهم كلهم عرب يشتركون بالأرض واللغة والشمائل والهمة والأنفة والحمية ، والأخلاق والسجية . فهناك مسألة الفردية المفرطة التي ظلت متوغلة في نفسية العرب من كلا الطرفين ؛ فمن الصعوبة على أفراد المجتمعين من العرب الانقياد لغيرهم او الخضوع لحكم أحد إلا إذا كانت هناك مصلحة عامة أو خاصة أو قوة قاهرة يصعب عليهم قهرها . ويبقون ينتظرون على أمل التخلص من هذا الحكم بتغير الظروف وتغير ميزان القوى . ﴿ 47 ﴾

ينقل لنا غوستاف لوبون ﴿ 48 ﴾ عن ديودرس الصقلي ﴿ 47 ﴾ ان العرب لم يستذلهم أحد حتى ان الفرس لم يستطيعوا أن يفرضوا عليهم الجزية دون غيرهم من أهل فينيقية وفلسطين . وأن سكان بلاد البتراء (بلاد الحجر) من العرب خاطبوا الحاكم الروماني ديمتريوس قائلين له : " لماذا تحاربنا أيها الملك ديمتريوس ؟ ونحن من سكان الصحاري التي لا تفسد فيها خلة ، ترانا نقطن في هذه البقاع القاحلة فراراً من العبودية فأقبل هديتنا وأرجع إلى حيث كنت فسنكون من أوفى الأصدقاء لك ولكنك إذا رغبت في حصرنا حرمت كل هناءة ورأيت عجزك عن إكراهنا على تبديل طرق حياتنا التي تعودنا عليها منذ نعومة أظفارنا ، وإذا قدرت على أسر بعضنا أيقنت أنك لن تجد واحداً ممن أسرت يستطيع أن يألف حياة غير التي ألفناها . وهنا رأى ديمتريوس أن يقبل هدية الأنباط ، وأن يرضى بالمآب حاتماً بالسلم حرباً أبصرها مملوءة بالمصاعب ." ﴿ 48 ﴾ .

من المؤكد ان ظهور مصطلح الحرية جاء متلازماً لمصطلح العبودية ! فلولا نشوء ظاهرة العبودية لما كان هناك حاجة للتمييز بين البشر كأحرار وعبيد ، ولماذا يسمى الفرد حرا اذا كان جميع الناس أحرارا ؟ ! وإذا كانت الأفكار والعواطف كما المفاهيم والقيم ونمو الشخصية لا تظهر ولا تكون الا من خلال المجتمع ، فالحرية اذن هي حاجة إنسانية وضرورة اجتماعية ، وإن كانت حرية الفرد حقاً تكفله له إنسانيته الا ان البعض قد يدخل في معركة مصيرية من اجل نيل حريته . فإيمان الفرد بالحرية لا قيمة له ، اذا كان مجتمعه ينكر عليه ذلك .

هناك عدة عوامل أثرت على مزاج وعواطف العرب وسلوكياتهم ، منها البيئة الفقيرة الشحيحة المناخ الصحراوي الجاف الذي يحرق بأشعته القاسية وشمسه المحرقة لأديم الأجساد وفي غير رفق أو شفقه ، ومجاهل صحراءهم ومخاطرها وترحالهم المستمر

ووقوفهم على الأطلال وما تحمله من صورة محزنة والفوضى والصراعات المرافقة لغزواتهم وغاراتهم المستديمة ، وحاجة الضعفاء الدائمة الى التوحد للمواجهة المستمرة مع الأقوياء أو حتى لمواجهة الصعاليك المستهينين بحياة التائهين في صحاريهم . وان من يتحمل كل ذلك ويرضى به ، حتما لن يتحمل بعده ان يكون عبدا ذليلا خانعا ؛ فحياة الخشونة كيفما تكون لهي أهون عنده من حياة التبعية أو العبودية وما يلحق بهما من ذل وهوان .

دعا الاسلام الى المساواة والعدالة والمحبة والتسامح ، ولكنه لم يلغي نظام الرق الذي كان سائدا في الجزيرة العربية ، دفعة واحدة وبشكل مباشر وفوري وذلك تحسبا من اختلال الوضع الاقتصادي ، أو انقلاب الأوضاع الاجتماعية جذريا ، فقد يرفض البعض العدالة الصارمة ويرى في بعض الظلم عدل ، وفي هذه الحالة يكون ممارسة العدالة في شكل جرعات انجع ، ان الإنسان اذا لم يشعر انه مستخف به ومستبعد أو أنه مظلوم فلن يطالب بالحرية أو العدالة . ألم يرى كبار مشركي قريش وبعض الأعراب في عدالة الرسول (عليه وآله أفضل الصلاة وأتم التسليم) ظلم لهم ! ، فهم قد ادمنوا ظلم الجاهلية ورأوه عدل ! ﴿49﴾ .

لقد أباح الإسلام نظام الرق والعبودية ، لكنه لم يباركه فقد أباحه على كره ومهد لإلغائه تدريجياً ؛ فكانت للتشريعات ابواب متعددة وطرق شتى لتحرير العبيد ؛ فعلى سبيل المثال كان من يشارك من العبيد في معارك المسلمين ، في سبيل الله عز وجل وأعلاء كلمته ونشر الاسلام فأنه غالبا ما كان يحرر مكافئة له على جهاده وقتاله في سبيل الله ، ومن يفطر يوما في رمضان من دون عذر كان عليه جزاء تحرير رقبة مؤمنة ﴿50﴾، كما كان يلغى الرق لمن يعترف به والده بالمولد ، كما ويلغى رق الدين وغيرها من أمور ، تحث وتدفع المسلمين على تحرير رقاب العبيد من الجنسين ﴿51﴾.

اتسم مفهوم الحرية عند المسلمين بشموليته لكل البشر ، كما اعطاه الإسلام أعمق مفهوما ومضموناً ، فقد جعلها من حق كل إنسان من الكفار والمشركين وأهل الذمة ونلاحظ ذلك في صحيفة حكومة الرسول ﴿ عليه وآله أفضل الصلاة والسلام ﴾ فهو ترك الحرية لليهود بالاحتفاظ بدينهم ، لا بل أعطتهم الصحيفة حق البقاء لقواتهم الخاصة في داخل المدينة ﴿52﴾ .

كان العربي قبل مجيء الإسلام يحكم نفسه بشخصيته تبعا لقوة إحساسه بحريته ، فهي عنده تتعلق بالثناء والفخار بين أفراد مجتمعه ولأحفاده ولأجيال من صلبه من بعده ، وقد حافظ العرب عليها على مدى قرون ، زخرت بها خزائن كتبهم الأدبية والتاريخية ، ودواوين أشعارهم وحكمهم المشهورة وأقوالهم المأثور وفيما بعد أسفارهم الدينية . لاسيما ان حكم العربي لحريته بعد الإسلام باتت بحسب تقواه ودرجة خوفه من الله عز وجل .

يمثل العبد بنظر العرب ذلك الفرد الذي تبدر منه سلوكيات العبيد ، وهي المخالفة لسلوكيات الحر ، فقد لا يكون الحر في الوضع الاجتماعي الموسوم بالعبودية ، لكنه يكون عبدا اذا ما تخلى عن الخلق النبيل . في حين يكون العبد مضطر لها لأنه مسلوب الإرادة وغير مسؤول عن تصرفاته . وفي ذلك يقول الفرزدق ﴿ 53 ﴾ :

فان الكلب مطعمه خبيث وأن القين يعمل في سفال ﴿ 54 ﴾

فالعبد لا يطمع بالكثير الذي يتطلب منه ان يجهد نفسه ليتخلق ، لأنه مهما فعل يبقى بنظر الناس عبد ، فيتباطأ ويعجز ويكسل ولا همة له في كسب المحامد والصفات الكريمة . ويفترض بالحر في الاعراف العربية الاجتماعية ان لا يتصف بهذه الخصال كي لا يوسم اجتماعيا بسمة العبيد كقول العرب :

إنك يا عمرُو وترك الندى كالعبدِ إذْ قَيَّدَ أجمالَهُ ﴿ 55 ﴾

المبحث الثالث : دلالات الحرية .

1- حرية الإرادة :

تعني الإرادة الحرة هي امتلاك الانسان حرية الاختيار لأي شيء من شؤون حياته ، وقد أشار الإمام علي بن أبي طالب ﴿ عليه السلام ﴾ الى ان مرد الحرية هي من أمر الله عز وجل بقوله : " ان الله سبحانه أَمَرَ عِبادَهُ تخييراً ونهاهم تحذيراً وكلف يسيراً ولم يُكَلِّفُ عسيراً وأعطى على القليل كثيراً " ﴿ 56 ﴾.

يتجلى مفهوم الحرية في الاسلام بمعنى الاختيار وعدم الاكراه ، وحرية الاختيار في الاسلام مطلقة حتى في خيار الكفر ، وان كانت ارادة الله سبحانه وتعالى للناس الهدى والإيمان به ، لكنه تعالى اسمه ترك للإنسان مع ارادته هذه الحرية في الخيار والتمكين لها . فالإسلام ضد الاضطهاد أو الجبر أو الإكراه وكل ما من شأنه أن ينتهك حرية الإنسان أو يمس كرامته وأدميته بأي كل من الاشكال .

ويرسخ هذا المفهوم قول للإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب ﴿عليه السلام ﴾ : " لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حُرّاً "﴿ 57 ﴾ ؛ وقوله : " إن آدم لم يلد عبداً ولا أمة ، ان الناس كلهم أحرا "﴿ 58 ﴾ ؛ فان الله سبحانه وتعالى لا يريد ان تسلب حرية أحد من خلقه ، باي قيد ومن اي نوع وممن كان ، حتى وان كان في مخاطبته لنبيه ﴿ عليه وآله أفضل الصلاة والسلام ﴾ ، فركز القرآن الكريم على مسألة الإرادة الحرة وحرية الاختيار في الإيمان والكفر ، بشكل واضح وصريح في ذلك بعدة آيات نذكر منها :

1- ﴿ لا أكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ ﴿ 59 ﴾ .

2- ﴿ أفأنت تُكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ ﴿ 60 ﴾ .

3- ﴿ وقل الحَقُ مِنْ رَبِّكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ ﴿ 61 ﴾ .

4- ﴿ قُل اللهَ أَعْبُدُ مُخْلصاً لَهُ ديني فأعْبُدُ ما شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ﴾ [62] .

5- ﴿ لكم دينكم ولي دين ﴾ [63] .

6- ﴿ وشاروهم في الأمر ﴾ [64] .

7- ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ [65] .

8- ﴿ أَرَأَيْتَ مَن أَتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وكيلاً ﴾ [66] .

9- ﴿ وما جعلناك عليهم حفيظا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بوَكيل ﴾ [67] .

10- ﴿ فما أرسلناك عليهم حفيظاً ﴾ [68] .

11- ﴿ وما انا عليكم بحفيظ ﴾ [69] .

12- ﴿ لستَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ [70] .

13- ﴿ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ﴾ [71] .

14- ﴿ انما عليك البلاغ وعلينا الحساب ﴾ [72] .

أحتلت مسألة الإرادة الحرة حيزا واسعا من تفكير ونقاشات وحوارات ومناظرات مفكري وعلماء وفقهاء المسلمين ! بتساؤلاتها هل الإنسان مخير أم مسيّر في أعماله وخياراته ؟ ! وقد كان الإمام علي بن أبي طالب ﴿ عليه السلام ﴾ أول من ناقش مسألة الجبر والاختيار في أفعال البشر ! [73] .

أعطى الأمام علي بن أبي طالب ﴿ عليه السلام ﴾ لحرية الإرادة مفهوما معمقاً واسع الافاق ، ببلاغته المعهودة وسلاسة عباراته وبساطة أسلوبه ، كقوله ﴿عليه السلام﴾ : " ولم تَكُونوا في شَيْءٍ مِنْ حالاتِكَمْ مُكْرَهِينَ ولاَ إلَيْهِ مُضْطَرّينَ " [74] ، وهنا يسأله شيخ من بلاد الشام مستفسراً : " وكَيْفَ لَمْ نَكُنْ في شيء مِنْ حَالاتِنا مُكْرَهِينَ ولا إليه مُضطرّينَ وكانَ بالقَضاء والقَدّر مسيرُنا ومُنقلبُنا ومُنصرَفُنا ؟ ! " ؛ فيرد عليه الإمام علي بن أبي طالب ﴿عليه السلام﴾ قائلاً : " وتظُنُّ أَنَّهُ كانَ قضاءً حَتْماً وقدّراً لازماً ؟ إنَّهُ لَوْ كانَ كذلكَ لَبَطَلَ الثَّوابُ والأمْرُ والنَّهْيُ والزَّجْرُ منَ الله ، وسَقَطَ مَعْه الوَعْدِ والوَعِيدِ ، فلَمْ تَكُنْ لائِمَةٌ للمُذْنبِ ، ولا مَحْمَدَةٌ لِلْمُحْسِنِ ، ولِكانِ المُذْنِبُ أوْلى بالإحْسان مِن المُحسِن ، ولَكانَ المُحْسِنُ أُولى بالعُقُوبةِ مِنَ المُذْنبِ ، تِلْكَ مَقالةُ إخْوانِ عَبَدةِ الأوْثان وخُصَماء الرَّحْمَنِ وحِزْبِ الشَّيْطانِ وقَدَريَّة هذه الأمة ومجوسِها " [75] .

بين الإمام علي بن أبي طالب﴿ عليه السلام ﴾ حرية الإرادة في عبادة الله سبحانه وتعالى لاسيما عبادة الأحرار التي تختلف عن عبادة غيرهم بقوله : " إن قوماً عبدوا الله سبحانه رغبةً فتلك عبادةُ التجار وقوماً عبدوه رهبةً فتلك عبادةُ العبيد وقوماً عبدوهُ شُكراً فتلك عبادةُ الأحرار " [76] .

حوى تراث الأئمة ﴿ عليهم السلام ﴾ الكثير من الأحاديث الموضحة لحرية الإرادة التي منحها الله لبني البشر . فالإمام السجاد علي بن الحسين زين العابدين ﴿ عليه السلام ﴾ [77] على سبيل المثال يذكر في مسألة الجبر وحرية الاختيار والإرادة حديث قدسي مفاده : " يا أبن آدمَ بمشيئتي كنتَ أنتَ الذي تشاءُ ، وبقوتي أديتَ اليَّ فَرائِضي ، وبنعمتي قوِيتَ على معصيتي ، جعلتُك سميعاً بصيراً ، ما أصابكَ مِنْ حسنةٍ فَمِنَ الله وما آصابَكَ مِنْ سيئة فَمِنْ نَفْسِكَ وذلك انَّي أولى بحسناتِكَ مِنْكَ ، وأَنْتَ أولى بَسَيّئاتِكَ مِنّي ، وذَلِكَ أنَّي لا أُسَلُ عَمّا أفعَلُ وهَمْ يُسألونَ قَدْ نظمتُ لكَ كُلَّ شيءٍ تُرِيدُ " [78] .

كما توصل الإمام جعفر الصادق ﴿ عليه السلام ﴾ [79] الى نتيجة أكثر عقلانية وتوازناً بقوله : " لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين مثلُ ذلك : رجل رأيتهُ على معصيةٍ فنهيتهُ فلم ينتهِ فتركتَهُ ففعلَ تلكَ المعصيةَ فليسَ حَيْثُ لَمْ يَقْبَلْ مِنْكَ فَتَرَكْتَهُ أنْتَ الَّذي أَمَرْتَهُ بالْمَعصِيّةِ " [80] بمعنى ان ليس هناك تفويض ، لأن الله جعل هذا الكون يتحرك من خلال قوانينه كما ليس هناك جبر لأن الإنسان بعقله اذا ما عرف هذه القوانين التي خلقها الله عز وجل يستطيع تسخير هذا الكون لمصلحته تماما .

في تاريخ الفكر الإسلامي ظهرت الكثير من الفرق الكلامية التي تناولت موضوع الإرادة والاختيار في الأعمال الإنسانية . كان أبرزها فرقة القدرية (الجبرية) [81] والجهمية [82] والمعتزلة [83] ؛ فمنها من ذهب الى مسألة الجبر وانعدام إرادة الإنسان في القيام بأعماله ومنها من أكد على الحرية والإرادة في أختيار الإنسان لأعماله التي يقوم بها .

لقد ذهبت كل من الفرقة الجبرية والجهمية الى ان الانسان مجبر على أعماله ، وليس له أدنى حرية في اختيارها ؛ فهو يتحمل وزر أفعاله فيثاب على الخير منها ويعاقب على الشر فيها [84] . لعل من أهم عوامل ظهور هذه العقيدة الجبرية ، هو من أجل تبرير الأمويين للحكم الأموي ؛ لطالما أن هذه العقيدة تؤكد على أن لا خيار للإنسان في ما يأتي من أعمال ، وأن الله سبحانه وتعالى هو الفاعل الحقيقي ، وهذا يعني محاولة لأقناع الرأي العام المسلم بأن لا دخل لبني أمية فيما كان يعانيه الناس من ظلم وبطش وقتل وتشريد ، في حين انهم كانوا أبطاله . لقد جعل معاوية ورجاله وخلفاؤه من بعده ، من الجبر عقيدة تبرر سياستهم وتسقط المسئولية عنهم في أفعالهم ، وتسلطهم على الناس وتصويرها بانها صادرة عن إرادة الله ومشيئته [85].

اما القدرية والمعتزلة وهم بحق أهل النظر العقلي ، وأصحاب الاتجاه الأخلاقي في الفكر الإسلامي بلا مراء [86] ؛ فقد رأت هذه الفرقتين ان الإنسان حرّ في أفعاله ، وهو قادر عليها وعلى اختيار الخير منها ورفض الشر فيها فالإنسان في نظرها له حرية كاملة في القيام بأفعاله واختيارها ، وهو مسؤول عنها اي انه حرّ في تصرفاته ومستقل برأيه فيها طالما هو قادر على القيام بها [87] ، بمعنى ان الله عز وجل لو أجبر الناس على

أفعالهم ، ثم عاقبهم كان ظالما ، في حين القرآن الكريم يؤكد على : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾[88] وقوله عز وجل : ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[89] .

شارك أبن رشد [90] المعتزلة رأيهم بقوله ان الإنسان حرّ في تصرفاته وقادر على القيام بها .كما ان الإنسان ليس مجبّراً على القيام بأفعاله لأن ذلك يقضي بعدم مسؤولية الإنسان عن فعل الشر . وإذا كان مجبرا على أفعاله فهي في حالة الأسباب الخارجة عن إرادته كالعوامل الطبيعية التي تسمى بالقضاء والقدر وهي من أسباب من صنع الله عز وجل [91].

أن مشاورة ولي الامر مع ذوي الامر في امورهم الدنيوية (الشورى) ، كانت معلماً من معالم حكومة الرسول ﷺ عليه وآله أفضل الصلاة والسلام ﷺ ، فقد جرت حوادث في تاريخ حكومته كان لمسألة الشورى دور حاسم ؛ ومنها تريثه ﷺ عليه وآله أفضل الصلاة والسلام ﷺ في أتخاذ قرار الحرب في معركة بدر ذلك انها كانت خارج إطار الاتفاقية التي عقدها ﷺ عليه وآله أفضل الصلاة والسلام ﷺ مع الأنصار ، والتي تتضمن حمايته والدفاع عنه ﷺ عليه وآله أفضل الصلاة والسلام ﷺ طالما هو في المدينة المنورة (يثرب) ، ولذا لم يتخذ ﷺ عليه وآله أفضل الصلاة والسلام ﷺ قرار الحرب الا بعد استشارة الأنصار وإعلانهم الاستعداد للمساهمة فيها سنة هـ / 623 م [92] ، وكذلك كانت مشورته للمسلمين في الخروج من المدينة المنورة الى أحد ، كما انه تراجع عن مشروع اتفاقية كان قد عقدها مع قبيلة غطفان اثناء معركة الاحزاب سنة خمسة (5) هجرية بعد رفض الأنصار لها [93].

****

2- الحرية وتحمل المسؤولية .

إن الشعور بالمسؤولية هو شرط من شروط تحقق الحرية . والمسؤولية وسيلة لا غاية فهي كالبوصلة توجه مسار الحرية وتحدد وتضبط سعة فضاءاتها . وفي كل الشرائع العالمية السماوية والوضعية لا تعتبر الإنسان مسئولا عما يصدر منه إذا كان مكرها أو مضطرا ؛ فالمضطر بحكم المكره ، ولذا قيل في المثل السائر " الضرورات تبيح المحظورات " ، وهي قاعدة متفق عليها مأخوذة من نصوص القرآن في خمسة مواضع[94]، وعلى العموم فالفعل ان لم يكن باختيار وإرادة الإنسان الحرة فلا يحاسب أو يعاقب عليه .

المسؤولية متنوعة فمنها المسؤولية الاخلاقية والمهنية والاجتماعية والسياسية والدينية ومسؤولية الإنسان تجاه نفسه . ومما لا شك فيه ان حرية الاختيار تولد القلق في نفس الانسان ، وهو قلق ناتج عن رشده الاخلاقي وإحساسه بثقل المسؤولية التي توجب الحساب

والعقاب (الجزاء والثواب) كقول الامام علي بن أبي طالب﴿ عليه السلام ﴾ : " حاسب نفسك لنفسك ، فان غيرها من الأنفس لها حسيب غيرك " ﴿ 95 ﴾ ، كما في الحديث الشريف : " كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤول عَنْ رَعِيَّتِهِ ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ ومَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ" ﴿ 96 ﴾ .

لقد صور الإسلام المسؤولية في فعل الخير ومنع الشر ، كما في قول الرسول المصطفى﴿ عليه وآله أفضل الصلاة وأتم التسليم ﴾ : " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه وإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان " ﴿ 97 ﴾ ! فالمؤمن يعرف الخير فيفعله ، والمنافق أو الجاهل أو الغافل يفعل الشر ولا يكترث عما يجنيه من ذنوب ! فالأول يتعاظم لديه الشعور بالذنب أما الثاني فلا يرى أي ذنب فيما تقترفه يداه بل قد يجد في ذلك متعة وسرور ! بمعنى ان المؤمن يرى الذنب كالجبل يوشك ان يقع على رأسه والمنافق يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فأطاره !

أن المسؤولية المنبثقة عن المجتمع لهي التزام أخلاقي اجتماعي (الضمير الحي) ، يعلم أفراده الترفع عن الأنانية ، للتخفيف من تصادم المصالح بين أفراد المجتمع ، ولتصنع منهم افراداً منسجمين مع واقعهم ومجتمعهم . وفي المقابل بات معروفا ان الشر ينبع من اللامبالاة والسلبية . ومن هنا نفهم كيفية تشكل المفاهيم الأخلاقية المرتبطة بالحرية ، وكما قال الرسول الكريم ﴿ عليه وآله أفضل الصلاة وأتم التسليم ﴾ : " الناس معادن ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إن فقهوا " ﴿ 98 ﴾ .

الحرية عامة شاملة ولكن بشرط عدم الاضرار بالبشر ، وقد ربطت العبودية بالمضرة التي هي من خصائص العبيد اللئام ، ومن هنا جاء قولهم أنت حر ما لم تضر .

****

3- الإيفاء بالعهود .

برَّز العرب قبل وبعد الإسلام مسألة الإيفاء بالعهود ، وعدوها من الصفات المميزة للحر ؛ فالحر عندهم وفيٌ صادق الوعد لا يخلف وعوده ولا ينكث عهوده ولا يخون ولا يغدر ؛ ويدخل هذا الخلق من باب الصدق ويحافظ على ماء الوجه والمكانة الشريفة للحر؛ فالوفاء بالعهد عندهم هو خلق شريف عالي الشأن رفيع المستوى يليق بالحر ، اذ هو يؤكد المصداقية ويعزز الثقة بالطرف الاخر ، ومن هنا قالت العرب : " البشر مَا وَعَدَ " ﴿ 99 ﴾ أي ان الإنسان يعتبر بمكانته بين أقرانه بقدر وفاءه بوعوده ، فهو يعطي الحق ولا يبخسه ولا يمنعه . وفي تأكيدهم على هذه الصفة قولهم : " آفةُ المُروءةِ خُلْفُ المَوعِدِ " ﴿ 100 ﴾.

جاء في تصريف لفظة وعد عند العرب هي وَعَدَ وتوعده وَعْداً وواعده مَوْعِدةً ومَوْعداً ومَوْعوداً ، فهو من المَصادِرِ التي تأتي على وزن فاعل ومَفْعولٍ ومَفْعولةٍ ، كما وتأتي اللفظة جمع لمفرد ومفرد لجمع كقولهم : " مَواعِيدُ عُرْقُوبٍ أَخاه بِيَثْرِبِ " ﴿ 101 ﴾ ، وقوله تعالى عز وجل : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿ 102 ﴾ .

حفلت المصادر العربية بالكثير من الأحاديث والقصص التي تؤكد على قيمة الايفاء بالوعود وحفظها ؛ وتصريفها وفيٌّ يفي وفاء فهو وافٍ وجمعها اوفياء فعلى سبيل المثال يقال : " أوفى من السموأل " ﴿ 103 ﴾ . والسموأل ﴿ 104 ﴾ هذا رجل من العرب ضربت به الأمثال في الوفاء وحفظ الودائع والأمانات ؛ فهو لم يتهاون قيد انملة بوديعة كانت عنده كأمانة ، وتعرض للتهديد بقتل ابنه من قبل الحارث ان هو لم يطلقها له ، ولكن السموأل رفض أن يخفر ذمته أو يخون أمانته ﴿ 105 ﴾ ، فقتل ابنه أمامه ، وبعد مدة سلم الوديعة لورثة امرؤ القيس وقال في ذلك شعرا شاع بين العرب خلد وفاء السموأل وأمانته بقوله :

وَفَيْتُ بِأَدْرُعِ الْكِنْدِيِّ إِنِّي ... إِذَا مَا خَانَ أَقْوَامٌ وَفَيْتُ

بَنَى لِي عَادِيًا حِصْنًا حَصِينًا ... وبئراً كلما شئت أستقيت

وَقَالُوا عِنْدَهُ كَنْزٌ رَغِيبٌ ... فَلاَ وأبيك أَغْدِرُ مَا مَشَيْتُ

طِمِرًّا تَزْلَقُ الْعِقْبَانُ عَنْهُ ... إِذَا مَا نَابَنِي ظُلْمٌ أَبَيْتُ ﴿ 106 ﴾

في هذه الأبيات الشعرية من قصيدته اللامية ، لم يفتخر فيها السموأل بنسبه ولا بحسبه ولا بماله ولا بغزواته ، بل أفتخر بما للمروءة من صفات كمثل الشجاعة والأنفة وعلو الهمة والكرم والوفاء ، وغيرها من الشمائل التي لا تكتسب الا بالمرانة والمعاناة منذ الصغر ﴿ 107 ﴾ .

وهذا الشاعر الأعشى ﴿ 108 ﴾ يذكر أحدهم بالسموأل فيقول :

كن كالسموأل إذ طاف الهمام به ... في جحفل كهزيع الليل جرار

إذ سامه خطى خف فقال له ... قل ما تشاء فإني سامع حار [حارث]

فقال : غدر وثكل أنت بينهما ... فأختر وما فيهما حظ لمختار

فشك غير طويل ثم قال له ... اقتل أسيرك إني مانع جاري

فأختار أدراعه كي لا يسب بها ... ولم يكن وعده فيها بختَّار ﴿ 109 ﴾

لقد شدد القرآن الكريم في العديد من الآيات على الوفاء بالعهد وبالوعد وبالعقد ؛ ومقته عز وجل للناكرين لوعودهم والناكثين لعهودهم ، بقوله جلى وعلى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ ﴿ 110 ﴾ ؛ ففي القرآن الكريم كان الايفاء بالعهود من الايمان ؛ فلا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له وهذا كان سبب حرص اهل البيت عليهم السلام جميعا على حفظ الوعد والوفاء به وقد نسخت مقولتهم عليهم السلام جميعا : " العدّة دين " ﴿ 111 ﴾ بالمثل السائر : " وعد الحر دين "؛ فوعود الرجل الحر النبيل عليه مثل الدين يجب الوفاء به . ووعد

المؤمن لأخيه نذر عليه لا كفارة له كقول الإمام الرضا ﴿ عليه السلام ﴾ : " إنا أهل بيت نرى ما وعدنا علينا ديناً كما صنع رسول الله صلى الله عليه وأله " ﴿ 112 ﴾ ، وكان التأكيد على الوفاء بالعهود بمواضع عديدة مرارا وتكرارا نذكر منها هذه الآيات بقوله عز وجل :

1- ﴿ الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الْمِيثَاقَ ﴾ ﴿ 113 ﴾.

2- ﴿ والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ﴾ ﴿ 114 ﴾.

3- ﴿ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿ 115 ﴾.

4- ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ ﴿ 116 ﴾ .

5- ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ ﴿ 117 ﴾.

6- ﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾ ﴿ 118 ﴾ .

7- ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ ﴿ 119 ﴾ .

8- ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ ﴾ ﴿ 120 ﴾.

9- ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ ﴿ 121 ﴾ .

10- ﴿ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ﴾ ﴿ 122 ﴾ .

11- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ ﴿ 123 ﴾.

12- ﴿ بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين ﴾ ﴿ 124 ﴾ .

13- ﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾ ﴿ 125 ﴾ .

14- ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ ﴾ ﴿ 126 ﴾ .

15- ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ ﴾ ﴿ 127 ﴾ .

16- ﴿ بِمَا أَخْلَفُواْ اللّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾ ﴿ 128 ﴾.

17- ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ ﴿ 129 ﴾ .

18- ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾ ﴿ 130 ﴾ .

وصف الحديث النبوي الشريف المخلف لوعده بالمنافق لقول رسول الله المصطفى المختار ﴿ عليه وآله أفضل الصلاة وأتم التسليم ﴾ : " آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان " ﴿ 131 ﴾ . وجاء في الروايات عن الإمام الصادق ﴿ عليه السلام ﴾ قوله : " إن رسول الله واعد رجلاً إلى الصخرة فقال أنا لك هنا حتى تأتي قال : فاشتدّت الشمس عليه ، فقال له أصحابه : يا رسول الله لو أنك تحوّلت إلى الظل ، قال وعدته ههنا وإن لم يجئ كان منه الحشر" ﴿ 132 ﴾. وكذا روي ان عبد الله بن عمرو ﴿ 133 ﴾ وعد رجلا من قريش أن يزوجه أبنته ، فلما كان عند موته أرسل إليه فزوجه ، مبررا إيفاؤه بوعده المتأخر بقوله : " كرهت أن ألقى الله بثلث النفاق " ﴿ 134 ﴾ .

حذر الأئمة الأطهار ﴿ عليهم السلام اجمعين ﴾ في أحاديثهم الشريفة الناس من ان يعدون ولا يوفون بوعودهم ، وهذا ما وصفوه على انه نوع من الرقّ قال الإمام علي بن أبي طالب ﴿ عليه السلام ﴾ : " الوعد أحد الرقّين إنجاز الوعد أحد العتقين " ﴿ 135 ﴾. بمعنى ان الإنسان حر ما دام لم يعد بشيء فإذا وعد أحداً سقطت حريته . والأشد من ذلك يعد أمير المؤمنين الإمام علي ﴿ عليه السلام ﴾ ان الايفاء بالوعد يفترض ان يكون نقداً وتعجيلاً بقوله : " وعد الكريم نقد وتعجيل ، ووعد اللئيم تسويف وتعطيل " ﴿ 136 ﴾ .

أعتبر الإمام علي بن ابي طالب ﴿ عليه السلام ﴾ الإيفاء بالعهود والوعود من الشجاعة ، ويدخل في مصاف الصدق ويشاركه الفضيلة ، كقوله : " يكفي في شرف الصدق انّه من الصفات الإلهية " ﴿ 137 ﴾ ، لقوله تعالى : ﴿ ومن أصدقُ من الله حديثاً ﴾ ﴿ 138 ﴾ . ويرى الإمام زين العابدين ﴿ عليه السلام ﴾ ان جميع شرائع الدين تتمثل في : " قول الحق ، والحكم بالعدل والوفاء بالعهد " ﴿ 139 ﴾ . وعن الامام الصادق ﴿ عليه السلام ﴾ : " انظر ما بلغ به علي [بن أبي طالب﴿ عليه السلام ﴾] عند رسول الله ﴿ عليه وآله أفضل الصلاة وأتم التسليم ﴾ فألزمه انما بلغ به عند رسول الله ﴿ عليه وآله أفضل الصلاة وأتم التسليم ﴾ بصدق الحديث وأداء الأمانة " ﴿ 140 ﴾.

سئل الإمام الصادق ﴿ عليه السلام ﴾ يوما مخاطبا أحد جلسائه : " أتدري لم سَميَّ إسماعيل صادق الوعد ؟ " إشارة الى قوله تعالى :﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولا نَّبِيًّاً﴾ ﴿ 141 ﴾ ، قال الجليس: لا أدري ؛ فقال له الإمام : وعد رجلاً فجلس له حولاً ينتظره " ﴿ 142 ﴾ . وفي أحدى الروايات إن نبي الله إسماعيل ﴿ عليه السلام ﴾ كان " قد وعد رجلا بالصفاح ؛ فمكث به سنة مقيما وأهل مكة يطلبونه ولا يدرون أين هو حتى وقع عليه رجل فقال : يا نبي الله ضعفنا بعدك وهلكنا ! فقال : إن فلان الظاهر وعدني أن أكون هاهنا ولم أبرح حتى يجيء . فخرجوا إليه حتى قالوا : يا عدو الله وعدت النبي فأخلفته ؛ فجاء وهو يقول ؟لإسماعيل﴿ عليه السلام ﴾ يا نبي الله ما ذكرت ولقد نسيت ميعادك ؛ فقال أما والله لو لم تجئني لكان منه المحشر . " ﴿ 143 ﴾ .

أما قصة عرقوب المضروب به المثل ؟ أتاه أخ محتاج سائل فيسأله شيئاً فيقول: عرقوب : إذا أطلع النخل أعطيتك، فلما أطلع أتاه فقال: إذا صار بلحاً أعطيتك ، فلما صار بلحاً أتاه فقال: إذا أزهى بحمرة وصفرة ، فلما أزهى أتاه فقال: إذا صار رطباً ، فلما صار رطبا أتاه ،فقال: إذا صار تمراً ، فلما صار تمراً خرج إليه في الليل ، وقطعه في الليل ولم يعط أخاه شيئاً ، فقال ذلك الرجل:

وعدتني ثم لم تُوف بموعدتي فكنت كالمُزْن لم يمطرْ وقدْ رعَدَا

وفي قول آخر فيه :

كانت مواعيد عرقوبٍ لنا مثلاً وما مواعيدُهُ إلاَّ الأبَاطِيلا

وقول الشاعر الأشجعي :

وعدت وكان الخلف منك سجية مواعيد عرقوب أخاه بيثرب

وقول كعب بن زهير في مدحه للرسول في قصيدته المسماة البردة :

صارت مواعيد عرقوب لها مثلا وما مواعيدها إل الأباطيل

فليس تنجز ميعاداً إذا وعدت إلا كما يمسك الماء الغرابيل[144]

****

4- <u>الإباء والعفة</u> .

عرفت صفات وأخلاقيات الحر عند العرب بدلالة عمله ، فمن يفوتهم ماضيه اي كتم عنهم تاريخه فانهم يعرفوه من النظر لفعاله "، بمعنى ان أخلاقياته وسلوكياته والتي تعكس نفسيته وطبيعته تدل على أصله ونسبه وتنشئته ؛ فالحر عندهم أبيٌّ مفرط بإبائه ، شديد الحساسية إزاء رفعته مهووس بها ، لا يتهاون من اجلها لأي سبب من الأسباب ، لأنها عنده تدل على وجاهته وسؤدده بين قومه وأقرانه ؛ فهو على استعداد ان يتحمل من أجل الحفاظ عليها كل الظروف الشاقة مهما بلغت درجة قساوتها ! ويوضح الجاحظ هذا بقوله المأثور إن :" غاية الأحرار أن يلقوا ما يحبون ويُحرَموا أحب إليهم من أن يلقَّوا ما يكرهون ويُعطوا "[145] .

الحر عند العرب معتد بنفسه يرفض الضيم والذل بإباء وشموخ ، كما جاء في قول الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب ﴿ عليهم السلام ﴾ في عدم الرضوخ لوالي يزيد بن معاوية لقبول بيعته القسرية المفروضة على المسلمين : " لا أعطيّنّكُم بيدي إعطاء الذليل ولا أقرُّ لكمُ إقرار العبيد "[146] وقوله عليه السلام للحر بن زياد الرياحي[147] : " أنت الحرّ كما سمتك أمك انت الحرّ إن شاء الله في الدنيا والآخرة ... "[148] ، وقد قيل ان الإمام علي بن الحسين زين العابدين ﴿ عليهم السلام أجمعين ﴾ قد رثاه ، وان كان البعض ينسبها للإمام الحسين (عليه السلام) ومنها هذه الأبيات :

لنعم الحرّ حرّ بني رياح صبورٌ عند مشتبك الرماح

ونعم الحرّ اذ نادى حسين فجاد بنفسه عند الصباح[149]

وفي قول حماد عجرد[150] :

ان الكريم ليخفى عنك عسرته حتى تراه غنياً وهو مجهود[151]

وقولهم :

إذا ما الحُرُّ أجْدَبَ في زمان فعِفتهُ لهُ زادٌ وماءُ[152]

وقول الشاعر سعيد بن حميد[153] الذي يبين العلل والاسباب التي تحط من قدر الاحرار وتحولهم الى عبيد :

ربّ بشّرٍ يُصيّرُ الحرَّ عبداً لك غالته جفوةٌ في الحجاب
وفتىً ذي خلائقٍ معجباتٍ أفسدتْها خلائقُ البوَّاب
وكريم قد قصَّرت بأياديه عبيدٌ تسيءُ للآداب
لا أرى للكريم أن يشتري الدنيا جميعاً بوقفةٍ بالبابِ
إنْ تركتَ العبيدَ والحطم فينا صار فضل الرؤوس للأذناب
فأحّوا أشكالهم رتب الفضل وحظّ الأحرار عَفر الترابِ [154]

وفي قول للإمام علي ﴿ عليه السلام ﴾ :

كُدَّ كَدَّ العبد إن أحببت أن تصبح حراً [155]

في خطبة الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب ﴿ عليهم السلام ﴾ لجند الشام الذين حالوا بينه وبين خيم رحله وعياله صائحا بهم أبي الضيم قوله : " ويحكم شيعة آل أبي سفيان ! إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد ؛ فكونوا أحراراً في دنياكم ، وأرجعوا الى أحسابكم إن كنتم عُرْباً كما تزعمون فأمنعوا عتاتكم وجهالكم عن التعرض لحرمي ما دمت حيّاً "[156] .

كان زيد بن أرقم [157] قد حضر مجلس عبيد الله بن زياد عندما دخلت عليه سبايا ورؤوس أهل بيت النبي ﴿ عليه وآله أفضل الصلاة والسلام ﴾ وقد زجره أبن زياد لبكائه وهدده فخرج وهو يقول للناس: " ملك عبد عبداً ، فاتخذهم تلداً ، أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم ، قتلتم ابن فاطمة ، وأمّرتم ابن مرجانة ، فهو يقتل خياركم ، ويستعبد شراركم فرضيتم بالذل ، فبعداً لمَن رضى بالذل "[158] .

كانت امثال العرب كثيرا ما تؤكد ان الحر متنبه يقظ مفرط لعزة نفسه وفيما يأتي بعض هذه الأمثال :

1- قول الشاعر يزيد بن مفزع :

العبد يُقرعُ بالعصا ، والحر تكفيه الملامةْ [159]

2- لا يصبر الحر تحت ضيم [160] .

3- قول أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام : " الحر حر وإنْ مَسَّهُ الضُرُ ، والعَبْدُ عَبْدُ وإنْ ساعَدَهُ القَدَرُ (وان ملك أو ألبسته الدرُّ) "[161] وقد ربطه ﴿ عليه السلام ﴾ بالصدق والشجاعة بقوله : " لا أَحَرارَ صِدْقٍ عِنْدَ اللِّقاءِ "[162] .

4- قول الشريف الرضي[163]

إذا ما الحُرَّ أجْدَبَ في زمانٍ فعِفَّتهُ له زادٌ وماء [164]

5- عند ابو فراس الحمداني [165] :

الحرُّ يصبر ما أطاق تصبراً في كل آونة وكل زمان

ويرى مساعدة الكِرامُ مرؤة ما سالمتهُ نوائبُ الحدثان
فإذا تكشف واضمحلت حاله ألفيته يشكو بكل لسان [166]

وقوله :

إني عليك أبا حُصينٍ عاتبُ والحرُّ يحتملُ الصديق ويصبر [167]

6- في المرأة الحرة كما الرجل أعطت الامثال نفس الدلالة كمثال قولهم : تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها [168] . تصون نفسها من المكسب الرديء والحقير الخسيس ولا تتساوى بفعلها مع الإماء والجواري ، فالأجر من الرضاعة سبَّة فكأنما هي أكلت من ثدييها .

7- عروس باتت بليلة حرة [169] .

8- ان كنتي حرة لا تضيعي نقابك برة [170] .

9- وفي نفس المعنى يشيد الشاعر النابغة الذبياني بالنساء الابيات اللواتي حتى بعلهن لا يمكنه فضهن بليلة عرسهن فينشد قائلا :

شمس موانعُ كلَّ ليلةٍ حُرَّة يُخْلِفْنَّ ظنَّ الفاحِش المِغْيار [171]

في صفة من صفات الحر ألزم العرب ان يكون الحر قنوع وينبذ الحرص والبخل والطمع سيان فهي ضد صفة الإباء والعزة كقول أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام :

10- " الطمَعُ رِقٌ " [172] .

11- " الطَّمَعُ رِقٌ مُخَلَدُ " [173] .

12- " الْعَبْدُ حُرَّ ما قَنِعَ ، والْحُرُّ عَبْدٌ ما طَمِعَ " [174] .

13- " لا يسترققنك الطمع وكن عزوفا " [175] .

14- " عَبْدُ المَطامِعِ مُسترِقٌ لا يجدُ أبداً العِتْقَ " [176] .

15- " الحريص عبد المطامع " [177] .

16- " اذا طاوعت حرصك كنت عبداً " [178] .

17- " عبد الشهوة أذل من عَبْدِ الرّقُ " [179] .

****

5- الكرم والسماحة .

تعد صفات الكرم والسخاء والسماحة والبشاشة من شيم الحر المشروطة به والملازمة له فالعرب قبل وبعد الاسلام يفترضون ان يكون الحر منزهاً عن الغل والمكر والحقد ، وأبعد ما يكون عن الدناءة والخسة والضعة . وذلك لكون العربي بشكل عام شديد الحرص على الثناء والذكر الحسن والسيرة العطرة ، ففي هذه الفضائل تكمن سعادته ، واعتقاده في الخلود برواية تاريخه من بعد مماته . والى ذلك يشير الحريري في أحدى مقاماته بقوله : " وشيمة الحُرّ ذخيرة الحمد وكسب الشكر واستثمار السعادة وعنوان الكرم تباشير البشر .. " [180].

الحر عند العرب افترضوه ان يكون سمح المحيا ذو أريحية بشر بشوش طليق الوجه يهش ويبش في وجوه من يطرق بابه لحاجة اليه أو لضيافته . وقد عبر العرب عن رؤيتهم لهذه الصور بأمثالهم وأشعارهم كقولهم :

1- : " البشر شيمة الحر " [181] .

2- : " فَهَشّ هَشَاشَةَ الكَرِيمِ إذا أُمَّ " [182] .

3- : " الكريم طروب تهزه الأريحية ، وليس كاللئيم الذي تمكنت القساوة والجفاء من طبعه "[183]

4- : " حرٌّ إذا جئته يوماً لتسأله أعطاك ما ملكت كفاه واعتذرا

يخفي صنائعه والله يظهرها إن الجميل إذا أخفيته ظهرا " [184]

ان الحر الكريم في عرف العرب سخي لمن يأتيه طارقا بابه ماديا أو معنوية ذلك إن " عادتهم جارية على الضيافة والتكرمة " [185] ، وعندهم العطايا القليلة مع طلاقة الوجه اوقع بقلوب ذوي المرؤات من الكثير مع العبوس والانقباض [186] . وعليه فالحر حسن الصحبة كقول الإمام زين العابدين : " من تمام حسن الصحبة ، أن يشيع الرجل صاحبه هنيهة إذا فارقه " [187] . كقول جرير:

لو كنت حرّاً يا بن قين مجاشع شيعت ضيفك فرسخين وميلاً [188]

العرب يوجبون ان يكون الحر تبعاً لكرمه متسامح يغفر الهفوات لمن يستسمحه فوصفوا الكريم بالمسامح ؛ فكانت " شيمتهم الصفح والمغفرة " [189] ؛ وفي هذا المعنى يقول أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يقول : " عجبت لمن يشتري العبيد بماله فيعتقهم كيف لا يشتري الأحرار بإحسانه فيسترقهم " [190] ، وقوله عليه السلام : " لن يسترق الأنسان حتى يغمره الإحسان " [191] ، وكذا قوله عليه السلام : " كم أنسان أستعبده إحسان " [192] ، وفي نفس المعنى قالت العرب في أشعارها :

1- فإن قال قَوْمٌ إن فيه سماحةً فقد صدقوا والذل بالحرّ أسمجُ [193]

2- لا تضع المعروف في ساقط فذاك صُنْعُ ساقط ضائعْ

3- وضعه في حرٌ كريم يكُنْ عرفك مسكاً عرفه ضائع [194]

4- بمن يثق الأنسان فيما ينوبه ؟ ومن أين للحر الكريم صحاب ! [195]

5- إني عليك أبا حُصينٍ عاتبُ والحَرُّ يحتملُ الصديق ويصبر [196]

6- الحرُّ يصبر ما أطاق تصبراً في كل آونةٍ وكل زمان

7- ويرى مساعدة الكرامَّ مروءة ما سالمتهُ نوائبُ الحدثان [197]

8- فتى قصرت آماله عن فعاله وليس على الحر الكريم سوى الجهد [198]

الخاتمة

ان مفهوم الحرية عند العرب قبل وبعد الإسلام ، هو مفهوم مستدام كرمز قيمي ثابت في منظومتهم الأخلاقية ، ففي سيكولوجيتهم لفهم الحرية هناك أساس أخلاقي لا يعتريه الفناء ولا يحكم عليه بالزوال قطعا ؛ فالعرب لم ينتهوا إلى مفهوم أعظم نبلاً وأكثر قومية من مفهومهم عن الحرية . ومما ساعدهم في رسم الصورة المثالية الحية للحرية ، هي مجموعة الفضائل التي جعلوها متلازمة لمفهوم الحرية فرضت كشرط لتسمية الفرد بصفته حر .

كان كل فرد من العرب يدبر شؤونه نفسه بنفسه بمفهوم الحرية ، كفرد حر وكفرد ضمن جماعة هي عشيرته ؛ فالوفاء على سبيل المثال يعد للحر سؤدد وصدق وشرف وسيرة عطرة ومدعاة لفخره وفخر أجياله ، وهو اي الوفاء عندهم ضد الغدر المذل المخزي والمنسوب اليه حامل للعار له ولعشيرته ، وكذا العفة منبعها من الأنفة وهي خلاف التهتك المشين ، ويأتي أصل العفو والسماحة والصفح والعدالة والسخاء من كرم الكريم وكرامته الطاغية ونبله ، مما يليق بالحر ، ويحاذر ان يخرق صورته المثالية هذه برذائل العبيد كالبخل والحقد والانتقام والقسوة والظلم ، وترفع الحر عن شبهة الطمع والشره ، بالتزامه القناعة والزهد فهن من عفة النفس وعزتها وإباءها وسموها وترفعها ، التي هي بالحر أليق .

لقد دعا الإسلام بالحرية لكل الناس شاملة عامة ، وانتصر لها واحترمها فكان مفهوم الحرية في التراث الإسلامي أوسع مفهوماً واعمق مضموناً ، فهي الإرادة المبصرة والعقلية الواعية ، وهنا تكون المسؤولية عن الاختيار سلباً كان أم إيجاباً ، وبشرط ان لا يكون فيها أضرار بحريات ومصالح الأخرين كقولهم المأثور : " أنت حر ما لم تضر " . اذن فقد ربطت الحرية بالمسؤولية (الأخلاقية والدينية والاجتماعية) ؛ فلا حرية بلا مسؤولية ؛ لذا فالمؤمن يرى ذنبه كجبل يوشك ان يقع على رأسه ، في حين يرى المنافق ذنوبه كذباب مر على أنفه فأطاره !.

****

الهوامش :

1- **تاكيتوس *Tacitus*** : هو بوبليوس كورنيليوس تاكيتوس ***P.Cornelius Tacitus*** (120 – 55 ق . م) مؤرخ وخطيب ورجل دولة روماني كان من طبقة الفرسان الأرستقراطية . عرف بفصاحته ومقدرته الخطابية فسمي بـ أعظم خطباء روما في عصره . كان مؤرخا يمتلك نظرة ثاقبة الى الأحداث ، وكشف خفايا وأعماق النفس البشرية كما لم يفعل مؤرخ قبله ، أمتاز بروعة أسلوبه ودقة عباراته ، كان يريد كتابة تاريخا بلا حقد ولا تحيز ، ولكنه مع ذلك تأثر بأحداث وتيارات عصره ، فقد صور مساوئ استبداد الأباطرة بتفاصيل أعملهم الخالية من الرحمة والشفقة ، وقد سخر منهم بأسلوب لاذع جمع الإثارة والجزالة . نشرت مؤلفاته محققة بعدة لغات في تاريخ الجرمان والرومان بأسلوب الحوليات . للمزيد أنظر بارنز : تاريخ الكتابة التاريخية ، ج 1 ، ص 62 ؛ محمد الزين : تاكيتوس ، موقع الموسوعة العربية (***Arab Encyclopedia***) .

2- بارنز : م . س والجزء والصفحة .

3- هاني : أخلاقنا ، ص 24 .
4- م. ن والصفحة .
5- العلي : نمو المفاهيم ، ص ص 9 ، 176 .
6- الأصمعي : هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي البصري المتوفى سنة 216 هـ / 831 م ، أستمع للعديد من شيوخ اللغة ، وكانت له ذاكرة ممتازة الحفظ . طاف في الكثير من البوادي ؛ فأتقن لغة العرب وعرف فنون الشعر ، كما صنف في الكثير من العناوين . للمزيد أنظر : الزركلي : الأعلام ، ج 4 ، ص 162 ؛ دائرة المعارف الإسلامية ، م 2 ، ص ص 264 – 265 .
7- العلي : م . س ، ص ص 180 – 181 .
8- أبن منظور : لسان العرب ، م 3 ، ص ص 81 – 82 .
9- م . ن والمجلد والصفحات ؛ الجوهري : الصحاح ، ص 227 .
10- أبن. منظور : م س والمجلد والصفحات .
11- مقامات الحريري ، ص 269 .
12- عنترة بن شداد : هو من شعراء المعلقات الطبقة الأولى ، المتوفى سنة 22 ق . هـ كان فارس بني عبس ، كانت أمه أميرة حبشية اختطفت وبيعت عبدة ؛ فاشتراها والده شداد الذي ألحقه بنسبه لما أبداه من شجاعة وفروسية لعشيرته . للمزيد أنظر : الزركلي : م . س ، ج 5 ، ص ص 91 ، 124 .
13- أبن منظور : م . ن ، والصفحة .
14- التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ص 31 .
15- م . ن والصفحة .
16- جرير : هو أبو حرزة بن عطية الكلبي اليربوعي التميمي من نجد ، توفى سنة 110 هـ / 728 م كان بارعا في المديح ، كما علق بهجائياته النقصائية مع الشاعر الفرزدق لدة اربعين (40) سنة . للمزيد أنظر : جرير : شرح ديوان جرير ، ص 3 الجمحي : م . س ، ص 389 ؛ الزركلي : م . س ، ج 2 ص 119؛ دائرة المعارف الإسلامية ، ص ص 371 – 372 .
17- الجمحي : م . س ، ص 157 .
18- سورة البقرة ، آية 178 .
19- سورة النساء ، آية 92 ؛ سورة المجادلة ، آية 3 ؛ سورة المائدة ، آية 89 .
20- سورة آل عمران ، آية 35 .
21- سورة الأعراف ، آية 157 .
22- صبحي : الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي ، ص 5 .
23- العلي : م . س ، ص 9 .
24- القاسمي : الحياة الاجتماعية عند العرب ، ص ص 256 – 258 .
25- الأصفهاني : الاغاني ، ج 3 ، ص ص 29 .
26- الحريري : مقامات الحريري ، ص 281 .
27- صبحي : م . س ، ص 109 .
28- كافور : هو أبو المسك كافور الأخشيدي المتوفى سنة 357 هـ / 968 م ، كان من عبد خصي من رقيق الحبشة ، أشتراه محمد بن طغج مؤسس الأسرة الأخشيدية ، أصبح رابع حكام الدولة الأخشيدية وحكمها مدة ثلاث وعشرين (23) سنة. للمزيد أنظر : الزركلي : م . س ، ج 5 ، ص 216 .
29- أبو شقر : مدخل الى سيسيولوجيا الأدب العربي ، ص 278 .
30- التوحيدي : هو أبو حيان علي بن محمد بن العباس البغدادي ، المتوفى سنة 414 هـ / 1023 م . عاش في بغداد . أمتاز بكونه أديب بارع وفيلسوف ومتصوف وبذكائه وجمال أسلوبه وتشخيص مظاهر عصره الثقافية والفكرية والسياسية فضلا عن الاجتماعية . للمزيد أنظر : الزركلي : م . س ، م 4 ، ص 326 ؛ دائرة المعارف الإسلامية ، م 1 ص ص 333- 335.
31- التوحيدي : م . س ، ص 71 .
32- جميل : التفكير العلمي ، ص 13 .
33- م . ن ، ص 71 .
34- م . ن ، ص ص 24 – 25 ، 27 .
35- المتنبي : هو الشاعر المبدع المبتكر الشديد البلاغة أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي ، المتوفى سنة 354 هـ / 965 م حيث مات مقتولا بواسط بالعراق ، عن عمر ناهز الخمسين . تمكن من كل الاغراض الشعرية فكان شعره مصدر انبهار والهام ، رافق سيف الدولة

الحمـــداني ومدحـــه قبـــل ان يرحـــل الـــى مصـــر فـــي عهـــد كـــافور . للمزيـــد أنظـــر : الزركلـــي ، م . س ، ج 1 ، ص 115 ؛ دائرة المعارف الإسلامية ، م 1 ، ص ص 363 – 370 .

36- الحريري : م . س ، ص ص 376 – 377 .

37- م . ن ، ص 281.

38- علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج 1 ، ص 9 .

39- سورة الإسراء ، آية 70 .

40- سورة الحجرات ، آية 13 .

41- أبن منظور : م . س ، م 3 ، ص 81 .

42- السيد الحميري : هـو الشـاعر أسـماعيل بـن محمـد بـن يزيـد بـن ربيعـة بـن مفـرغ ، اختلفـت الروايـات فـي سـنة وفاتـه والأرجـح انهـا كانـت فـي سـنة 178 هــ / 794 م تـوفي ببغـداد . وهـو شـاعر آل البيـت . للمزيـد أنظر : التستري : قاموس الرجال ، ج 1 ، ص 109 .

43- الحكيم : شاعر العقيدة السيد الحميري ، ص 13 .

44- القاسمي : م . س ، ص 256 .

45- هيـــرودوتس ***Herodotus*** : هـــو مـــؤرخ إغريقـــي (يونـــاني) مـــن أصـــل مقـــدوني (484 – 425 ق . م) ينسـب اليـه البـدء بفـن كتابـة التـاريخ ، عـرف فـي كتاباتـه بميلـه الـى الحريـة التـي جعلهـا قيمـة عليـا للإغريـق فـي حـروبهم مـع الفـرس . رحـل لمسـارح المعـارك التـي خاضـها الاغريـق مـع الفـرس ، واعجـب بمصر وأطلق عليها هبة النيل . للمزيد أنظر : موسوعة ويكيبيديا الحرة .

46- علي : م . س ، ج 1 ، ص ص 101 – 220 .

47- الجاحظ : رسائل الجاحظ ، ج 1 ، ص ص 10 ، 70 ؛ حسن : حضارة العرب ، ص ص 28 – 29.

48- غوسـتاف لوبـون : طبيـب ومـؤرخ فرنسـي (1841 – 1931 م) . كتـب فـي الآثـار وعلـم الأنثروبولوجيـا . وعنـي بالحضـارات الشـرقية ؛ فكتـب عـن حضـارة العـرب وحضـارات الهنـد ، والحضـارة المصـرية وحضـارة العـرب فـي الأنـدلس . ولـه مـن الكتـب روح الأجتمـاع وكتـاب تقـدم الأمـم ، وكـان يـرى أن للحضارة إسلامية فضل على العالم الغربي ويكيبيديا الموسوعة الحرة .

49- ديـودرس الصـقلي : مـؤرخ موسـوعي يونـاني المتـوفى سـنة 30 ق . م . لـه كتـاب سـماه مكتبـة التـاريخ . ويحتوي أربعين (40) جزءاً ، ولم يبقى منه الا خمسة (5) أجزاء . ويكيبيديا الموسوعة الحرة .

50- غوستاف لوبون : حضارة العرب ، ص ص 91 – 91 .

51- المـلاح : الوسـيط فـي السـيرة النبويـة والخلافـة الراشـدة ، ص 181 ؛ شـعيب : تحريـر العقـل الإسـلامي ، ص 109 .

52- سورة الإسراء ، آية 70 .

53- شعيب : م . س والصفحة .

54- الملاح : م . س والصفحة .

55- الفـرزدق : هـو الشـاعر همـام بـن غالـب التميمـي الـدارمي ، مـن أهـالي البصـرة ، تـوفي سـنة 114 هــ / 732 م ، مـن شـعراء الطبقـة الأولـى ، لـه أثـر بـارز فـي اللغـة العربيـة . للمزيـد أنظـر : الزركلـي : م . س ، ج 8 ، ص 93 .

56- الجمحي : طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين ، ص 142 .

57- البكري : فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ، ص 192 .

58- دخيل : عشرة الاف حكمة للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، ص 130.

59- الشريف الرضي : نهج البلاغة ، ص 628 .

60- المجلسي : بحار الأنوار ، ج 32 ، حديث 107 ، ص 315 .

61- سورة البقرة ، آية 256 .

62- سورة يونس ، آية 99 .

63- سورة الكهف ، آية 29 .

64- سورة الزمر ، الآيات 14- 15 .

65- سورة الكافرون ، آية 6 .

66- سورة آل عمران ، آية 159 .

67- سورة الشورى ، آية 38 .

68- سورة الفرقان ، آية 43 .

69- سورة الأنعام ، آية 107 ؛ سورة الشورى ، آية 6 .

70- سورة النساء ، آية 80 ؛ سورة الحشر ، آية 7 .

71- سورة الأنعام ، آية 104 .
72- سورة الغاشية ، آية 22 .
73- سورة ق ، آية 45 .
74- سورة الرعد ، آية 40 .
75- الكليني : أصول الكافي ، ج 1 ، ص ص 110 – 111 .
76- م . ن والجزء والصفحة .
77- م . ن والجزء ، ص 127 .
78- م . ن والجزء ، ص 111 .
79- الإمام زين العابدين : هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام أجمعين) الملقب بالسجاد والزكي ، هو رابع الأئمة للمذهب الجعفري الأثني عشرية شهد معركة كربلاء وموقعة الحرة وثورة كل من التوابين والمختار ، وهو صاحب الصحيفة السجادية ورسالة الحقوق ، توفي سنة 59 هـ / 678 م ، ودفن الى جوار عمه الحسن (عليهم السلام اجمعين) في البقيع . للمزيد أنظر : الزركلي : م . س ، ج 4 ، ص 277 ؛ موسوعة ويكيبيديا الحرة ، الإمام زين العابدين .
80- الكليني : م . س ، ج 1، ص 113.
81- الإمام جعفر الصادق : هو أبو عبد الله جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام أجمعين) .توفي في المدينة المنورة سنة 148 هـ / 765 م ، وهو الإمام السادس من أئمة الجعفرية الأثني عشرية . إليه ترجع أصول المدرسة الفقهية والكثير من العلوم منها الكيمياء والفلك والفلسفة والكلام والفيزياء فضلا عن الطب . للمزيد أنظر : ؛ الإمام جعفر الصادق ، ويكبيديا الموسوعة الحرة .
82- الكليني : م . س ، ج 1 ، ص 113 .
83- القدرية : أو الحتمية أو الجبرية هي من الفرقة الكلامية الإسلامية ، وقد ظهرت في عهد الخلافة الأموية ، فأما القدرية فترجع بتأسيسها الى غيلان القدري . خاضت هذه الفرق بمختلف تسمياتها ، بمسألة ان الإنسان مسّير غير مخير فيما يأتيه من أفعال وأقوال ، فهي مقدرة عليه أزلا . للمزيد أنظر : أمين : فجر الإسلام ، ص 286 .
84- الجهمية : ظهرت في القرن الثاني للهجرة / الثامن للميلاد . مؤسسها الجهم بن صفوان الترمذي الخراساني . أقام في الكوفة يخطب فجذب الناس لأقواله بفصاحته ، فقالت فرقته ان الإنسان مجبر في أفعاله وأعماله . للمزيد أنظر : أمين : م . س والصفحة
85- المعتزلة : ظهرت كرد فعل للفرقة الجهمية ، وقد غلبت عليها النزعة العقلية . وقولها ان الإنسان هو خالق أفعاله ، ولذا فهو حر في كل ما يصدر منه باختياره . للمزيد أنظر : أمين : م . س والصفحة .
86- النجار : المدخل الى الفلسفة ، ص 157 .
87- الجابري : العقل الأخلاقي العربي ، ص 80 ؛ شعيب : تحرير العقل الإسلامي ، ص53.
88- صبحي : الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي ، ص 76 .
89- أمين : فجر الإسلام ، ص 289 ؛ فضل الله : فلسفة ديكارت ومنهجه ، ص 9 .
90- سورة فصلت ، آية 46 .
91- سورة النحل ، آية 118 .
92- أبن رشد : هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد الأندلسي المتوفى سنة 595هـ / 1198 م . فيلسوف وطبيب وفقيه وقاضي وفلكي وفيزيائي . كان يرى ان لا تعارض بين الدين والفلسفة . كانت له آرائه في الأخلاق بين مذهبي أرسطو وأفلاطون ، وقد ظهر أثره في أبن خلدون . للمزيد أنظر : ؛ دائرة المعارف الإسلامية ، م 1 ، ص ص 167 – 174 .
93- النجار : م ز س ، ص ص 148 – 149 ، 157 .
94- الملاح : م . س ، ص 202 .
95- أبن هشام : السيرة النبوية ، ج 3 ، ص 63 ؛ الملاح : م . س ، ص 235 .
96- سورة البقرة ، آية 173 ؛ سورة المائدة ،آية 3 ؛ سورة الأنعام ، الآيات 119 و 145؛ سورة فاطر ، آية 14 .
97- نهج البلاغة ، ص 222 .
98- الكرماني : شرح الكرماني على صحيح البخاري ، م 12 ، ص 103 .
99- النووي : شرح صحيح مسلم ، ج 2 ، ص 380 .
100- الكرماني : م . س ، م 7 ، ص 266 .

101- الضبي : امثال العرب ، ص ص 68 ، 181 ؛ العسكري : جمهرة الأمثال ، ج 1 ، ص 31 ؛ الحريري : المقامات ، ص 30 ؛ الميداني : مجمع الأمثال ، ج 3 ، ص 371 ؛ البكري : فصل المقال في شرح كتاب الامثال ، ص 90 ؛ الزمخشري : المستقصى في أمثال العرب ، م 1، ص384 ؛ أبن منظور : م . س ، مادة نجز .
102- الزمخشري : م . س ، م 1 ، ص 5 .
103- أبن منظور : م . س ، م 15 ، ص 241 .
104- سورة الملك ، آية 25 .
105- الجاحظ : المحاسن والأضداد ، ص 83 .
106- السموأل : هو السموأل (صمويل) بن غريض بن عادياء بن رفاعة بن الحارث الأزدي المتوفى بالقرن السادس الميلادي ، شاعر عربي يهودي ذو بلاغة وبيان من بيت شعر فأبوه وأخوه شاعران ، كان يملك حصنا لأجداه – الأبلق – في تيماء شمال الجزيرة العربية ، قصده امرؤ القيس الشاعر (ت 565 م) في طريقه للشام وأودع عنده دروع كانت لملوك كنده قد توارثوها ؛ فطلبها ملك الحيرة وألح في طلبها فلما حجبت عنه سير جيشا الى الحصن فحاصره ، وكان للسموأل ابن خارج الحصن في صيد فلما رجع اخذوه رهينة وخيروا السموأل بين اثنين إما الدروع وإما قتل أبنه ! فأختار الدروع رافضا تسليمها فقتل أبنه . وفيما بعد سلم الدروع التي بذمته وعهدته لورثة امرؤ القيس . للمزيد أنظر : اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج 1 ، ص 189 ؛ علي : م . س ، ج 10 ، ص 262 ؛ الزركلي : م . س ، ج 3 ، ص 140 ؛ موسوعة ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، مادة السموأل .
107- الجاحظ : م . س والصفحة .
108- م . ن والصفحة .
109- الجابري : م . س ، ص 524 .
110- الأعشى : هو أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضبيعه بن ثعلبة بن بكر بن وائل من اليمامة (ت 629 م) ، سمي لضعف بصره (لا يرى في الليل) . أدرك الإسلام ولم يسلم ، وقد عمي في أواخر عمره .وهو من شعراء الطبقة الأولى الجاهليين . غزير الشعر لقب بصناجة العرب لكونه أكثر العرب شعرا . وقد سلك بالشعر كل مسلك . كان كثير الوفادة على الملوك .للمزيد أنظر : الأصفهاني : م . س ، ج 9 ، ص ص 80 – 95 ؛ الزركلي : م . س ، ج 7 ، ص 341 ؛ دائرة المعارف الإسلامية ، م 2 ، ص 320 .
111- الأصفهاني : م . س ، ج 9 ، ص 88 .
112- سورة الصف ، آية 2 – 3 .
113- الطبراني : المعجم الأوسط ، ج 4 ، ص 23 ، رقم 3514 .
114- المجلسي : م . س ، ج ٧٥ / ٩٧ / ٢٠.
115- سورة الرعد ، آية 20 .
116- سورة الرعد ، آية 25 .
117- سورة الأنعام ، آية 152 .
118- سورة الأحزاب ، آية 23 .
119- سورة النحل ، آية 91 .
120- سورة التوبة ، آية 77 .
121- سورة البقرة ، آية 40 .
122- سورة النحل ، آية 91 .
123- سورة الإسراء ، آية 34 .
124- سورة البقرة ، آية 177 .
125- سورة المائدة ، آية 1 .
126- سورة آل عمران ، آية 76 .
127- سورة الفتح ، آية 10 .
128- سورة الأعراف ، آية 102.
129- سورة المائدة ، آية 13 .
130- سورة التوبة ، آية 111 .
131- سورة النجم ، آية 37 .
132- سورة مريم ، آية 54 .
133- الكرماني : م . س ، م 1 ، 363 ؛ النووي : م . س ، ج 2 ، ص 407 .

134- المجلسي : بحار الأنوار ، ج 75 ، ص 94 .
135- عبد الله بن عمرو : هو عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي . فاتح مصر . المتوفى سنة 63 هـ / م . هاجر الى المدينة المنورة قبل إسلام أبيه للسنة السابعة (7) هجرية . للمزيد أنظر : الزركلي : م . س ، ج 4 ، 111.
136- البكري: فصل المقال في شرح كتاب الامثال ، ص 91 .
137- دخيل : م . س ، ص 57 .
138- م . ن ، ص 422 .
139- م . ن والصفحة .
140- سورة النساء ، آية 87 .
141- محمد : المحاضرات الاخلاقية ، ص 242 .
142- م . ن ، ص 373 .
143- سورة مريم ، آية 54 .
144- الراوندي : قصص الأنبياء ، 186 .
145- م . ن والصفحة .
146- كعب بن زهير : ديوان كعب بن زهير ، ص 60 ؛ أبن منظور : م . س ، ج 10 ص 121 .
147- أسماعيل : مختارات من آثار الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، م 1 ، ص 91
148- المقرم : مقتل الحسين أو حديث كربلاء ، ص 280 .
149- الحر بن زيد : فر من معسكر الشام مقبلا على الحسين (عليه السلام) تائبا مطأطأ رأسه مانحا نفسه للموت بين يديه ذودا عنه . للمزيد أنظر : منفرد : قصة كربلاء وبضمنه قصة الانتقام والثأر ص 275- 276 .
150- م . ن ، ص 310 .
151- شمس الدين : واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي ، ص 22 .
152- حماد عجرد : هو الشاعر أبو عمرو بن يحيى بن عمر بن يونس بن كليب السواني كان أبوه نبالاً من النبط ، وكان حماد مولى لبني عامر بن صعصعة ، وسكن الكوفة وواسط ، وهو من المخضرمين عاش في الدولتين الأموية ، لكنه أشتهر في عهد العباسيين أكثر . عرف بهجائه وتغزله ووصفه للطبيعة . كان ماجنا متهكما كما انه أتهم بالزندقة . اغتيل في الأحواز سنة 161 هـ / 778 م . للمزيد أنظر : الأصفهاني : الأغاني ، ج 14 ، ص ص 205 .
153- العلاق : الشريف الرضي مختارات من شعره ، ص 31 .
154- م . ن والصفحة .
155- سعيد بن حميد : هو أبو عثمان سعيد بن حميد بن سعيد بن حميد بن بحر كانت وفاته سنة 250هـ / 864 م . كان أبوه من الدهاقين النبط من أهل النهروان الأوسط جنوب البصرة . أشتغل كاتب في ديوان الخليفة المأمون ثم عمل وزيراً. له في أغراض الغزل والمدح والهجاء والمجن . كان بارع الشعر مترسل رقيق الألفاظ عذبها . للمزيد أنظر : الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، ص 56 ؛ الأصفهاني : م . س ج 18 ، ص 111 ؛ فروخ : تاريخ الأدب العربي ج 2 ، ص ص 322 – 323 .
156- الجاحظ : م . س والجزء والصفحة .
157- ديوان الامام علي بن أبي طالب ، ص 45 .
158- شمس الدين : م . س ، ص 22 .
159- زيد بن أرقم : هو أبو سعد زيد بن أرقم الأنصاري الخزرجي ، وقد تضاربت الاخبار في سنة وفاته في سنة 66 هـ أو 68 هـ ، كان ﴿رضي الله عنه﴾ من أصحاب النبي ﴿صلى الله عليه وآله﴾، اذ شهد سبعة عشر غزوة من غزواته التسعة والعشرون (29) ، وهو من السابقين الأوّلين السبعة (7) الذين وفوا بما التزموا لرسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ بالمودّة في القربى ، فرجعوا إلى الإمام علي بن أبي طالب ﴿عليه السلام﴾ ، وهو الذي أنكر على المغيرة بن شعبة لمّا نال من الإمام علي ﴿عليه السلام﴾ بقوله : « قد علمت أنّ رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ كان ينهى عن سبّ الموتى ، فلم تسبّ عليّاً وقد مات!؟» قال فيه الإمام الصادق ﴿عليه السلام﴾ : «إنّه لمّا نزلت هذه الآية على رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾: " قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى" . قال الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق ﴿ عليه السلام ﴾ : " فو الله ما وفى بها إلّا سبعة نفر : سلمان، وأبو ذر، وعمّار، والمقداد بن الأسود الكندي، وجابر بن عبد الله الأنصاري، ومولى لرسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ يُقال له زيد بن أرقم " . وهو الذي أنزل الله عز وجل سورة المنافقين لتثبيت صدقه . للمزيد أنظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج3 ، ص ص 166 – 167 .

160- شمس الدين ، م . س والصفحة .
161- الأبشيهي : المستطرق في كل فن مستظرف ، ص 45 ؛ اسماعيل : م . س ، ص272.الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، ج 2 ، ص ص 21 ، 22 .
162- الأبشيهي : م . س ، ص 41 .
163- م . ن ، ص 348.
164- الشريف الرضي : نهج البلاغة ، ج 2 ، ص 183 .
165- الشريف الرضي : هو الأديب والشاعر أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى العلوي الحسيني الموسوي ، نقيب الطالبيين توفي سنة 406 هـ / 1015 م .للمزيد أنظر الزركلي : م . س ، ج 6 ، ص 99 .
166- العلاق : م . س والصفحة .
167- أبو فراس الحمداني ، الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي الرَّبعي (ت 357 هـ / 968 م) : ديوان أبي فراس الحمداني ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، بلا رقم الطبعة ، بلا تاريخ الطبع .
168- م . ن ، ص 261 .
169- م . ن والصفحة .
170- الجاحظ : المحاسن والاضداد ، ص 218 ؛ البكري : م . س ، ص ص 215 – 216 الزمخشري : م . س ، م 2 ، ص 20 .
171- الحريري : م . س ، ص ص 264 – 265 ؛ ابن منظور : م . س ، م 3 ، ص 82 .
172- الأبشيهي : م . س ، ص 45 .
173- ابن منظور : م . س ، م 3 ، ص 82 .
174- دخيل ، م . س ، ص 15 .
175- م . ن ، ص 7 .
176- الأبشيهي : م . س ، ص 77 ؛ دخيل : م . س ، ص 23 .
177- دخيل : م . س ، ص 428 .
178- م . ن ، ص 268 .
179- م . ن ، ص 28 .
180- الأبشيهي : م . س ، ص 80 .
181- دخيل : م . س ، ص 268 .
182- الحريري : م . س ، ص 139 .
183- دخيل : م . س ، ص 29 .
184- الحريري : م . س ، ص 171 .
185- الزمخشري : المستقصى في أمثال العرب ، م 1 ، ص 341 .
186- الجاحظ : المحاسن والأضداد ، ص 92 .
187- التوحيدي : م . س ، ص 26 .
188- الجاحظ : رسائل الجاحظ ، م 1 ، ص 91 .
189- محمد : المحاضرات الأخلاقية ، ص 241 .
190- الجمحي : م . س ، ص 148 .
191- التوحيدي : م . س والصفحة .
192- دخيل : م . س ، ص 266 .
193- م . ن ، ص 297 .
194- م . ن ، ص 320 .
195- أبن عبد ربه : العقد الفريد ، ج 3 ، ص 14 .
196- ديوان الإمام علي ﴿ عليه السلام ﴾، ص 57 .
197- أبو فراس الحمداني : ديوان أبو فراس الحمداني ، ص 66.
198- م . ن ، ص 261.
199- م . ن ، ص 227 .
200- الجاحظ : المحاسن والأضداد ، ص 92 .

قائمة المصادر والمراجع :

أولاً : المصادر :

1- القرآن الكريم .

2- الإمام علي ، علي بن أبي طالب (ت 41هـ / م) : ديوان الإمام علي عليه السلام دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع بلا مكان النشر ، بلا رقم الطبعة ، بلا تاريخ الطباعة .

3- الأبشيهي ، شهاب الدين محمد بن احمد بن ابي الفتح (ت 852هـ / 1448م) : المستطرف في كل فن مستظرف ، شرحه ووضع هوامشه مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الثالثة ، 1424هـ / 2009م .

4- الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين (ت 356 هـ / 976 م) : كتاب الأغاني تحقيق أحسان عباس وإبراهيم السعافين وبكر عباس ، م 16 ، دار صادر ، بيروت بلا رقم الطبعة ، بلا سنة الطبع .

5- أبن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الرويفعي الأفريقي (ت711هـ / 1311م) : لسان العرب ، دار صادر للطباعة والنشر بيروت ، الطبعة الرابعة 2005 م .

6- ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري البصري (ت 218هـ / 833م) : السيرة النبوية ، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ، دار الفكر بيروت ، بغداد ، بلا رقم الطبعة ، بلا تاريخ الطبعة .

7- أبو فراس الحمداني ، الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي الرَّبعي (ت 357هـ / 968م) : ديوان أبي فراس الحمداني ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، بلا رقم الطبعة ، بلا تاريخ الطبع .

8- البكري ، ابي عبيدة (ت 487هـ / 1094م) : فصل المقال في شرح كتاب الامثال تحقيق وشرح وفهرسة قصي الحسين ، منشورات دار ومكتبة الهلال ، بيروت الطبعة الاولى ، 2003 م

9- التوحيدي ، أبو حيان علي بن محمد بن العباس (ت 400هـ / 1009م) : الإمتاع والمؤانسة تحقيق محمد حسن محمد أسماعيل وأحمد رشدي شحاته عامر ، دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الأولى ، 1428هـ / 2007م .

10- الجاحظ ، أبو عثمان بن عمرو بن بحر (ت 255هـ / 868 م) :

1- رسائل الجاحظ ، شرحه وعلق عليه محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الاولى 1420هـ / 200م .

2- المحاسن والأضداد ، قدم له وبوبه وشرحه علي بو ملحم ، دار مكتبة الهلال بيروت ، بلا رقم الطبعة ، 2008 م .

11- جرير ، أبو حرزه بن عطية الكلبي اليربوعي التميمي (ت 110هـ / 728م) : شرح ديوان جرير ، شرح وتقديم مهدي محمد ناصر ، دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الثانية 1412هـ / 1992م .

12- الجمحي ، أبو عبد الله بن سلام البصري (ت 232هـ / 846 م) : طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين ، مكتبة الثقافة العربية ، بلا مكان الطبع ، بلا رقم الطبعة بلا سنة الطبع .

13- الجوهري ، أسماعيل بن حماد (ت 393هـ / 1002م) : معجم الصحاح ، رتبه وصححه ابراهيم شمس الدين ، شركة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، الطبعة الاولى 1433هـ / 2012 م .
14- الحريري ، القاسم بن علي (ت 504هـ / 1110م) : مقامات الحريري ، دار بيروت للطباعة والنشر ودار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، بلا رقم الطبعة 1337هـ / 1958م .
15- الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748 هـ / 1374 م) : سير أعلام النبلاء مؤسسة الرسالة ، بلا مكان الطبع ، بلا رقم الطبعة ، 1422هـ / 2001 م .
16- الراوندي ، قطب الدين سعيد بن هبة الدين (ت 573 هـ / 1177م) : قصص الأنبياء ، دار الجوادين بيروت ، الطبعة الأولى ، 1433 هـ / 2012 م .
17- الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت 538 هـ / 1144م) : المستقصى في أمثال العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثالثة 1407 هـ / 1987م .
18- الشريف الرضي ، محمد بن الحسين الموسوي البغدادي (ت : نهج البلاغة شرح وفهرسة عباس علي الموسوي ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع بيروت الطبعة الثالثة ، 1430 هـ / 2009 م .
19- الضبي ، المفضل بن محمد (ت 171 هـ / 787 م) : أمثال العرب ، قدم له وعلق عليه أحسان عباس ، دار الرائد العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1403هـ / 1983م .
20- الطبراني ، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت 360 هـ / 970 م) : المعجم الأوسط تحقيق أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد و أبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين للطباعة والنشر ، القاهرة ، بلا رقم الطبعة 1415 هـ / 1995م .
21- العسكري ، أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت 395هـ / 1004م) : جمهرة الأمثال ضبطه وكتب هوامشه ونسقه أحمد عبد السلام ، خرج أحاديثه أبو هاجر محمد سعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى 1408هـ / 1988م .
22- الكليني ، محمد بن يعقوب (ت 329 هـ / 940 م) : أصول الكافي ، دار المرتضى بيروت الطبعة الأولى ، 1426هـ / 2005م .
23- الكرماني ، شمس الدين محمد بن يوسف (ت 786 هـ / 1384م) :
شرح الكرماني على صحيح البخاري المسمى الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري تحقيق محمد عثمان ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى 2010م .
24- كعب بن زهير أبو المضرَّب بن أبي سلمى المزني (تالسنة الأولى الهجرية / 622م) : ديوان كعب بن زهير ، تحقيق علي عافور ، دار الكتب العلمية ، بيروت بلا رقم الطبعة ، 1417 هـ / 1997 م .
25- المجلسي ، محمد باقر : بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (عليهم السلام) تحقيق لجنة من العلماء المحققين الأخصائيين ، تنقيح علي النمازي الشاهرودي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1429 هـ / 2008 م .

26- الميداني ، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن أبراهيم النيسابوري (ت 518هـ / 1124م) : مجمع الأمثال ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار الجيل ، بيروت الطبعة الثانية 1407هـ / 1987م .
27- النووي ، ممحي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف الشافعي (676هـ / م) : شرح صحي مسلم مراجعة خليل الميس ، دار القلم ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1407 هـ / 1987 م .
28- اليعقوبي ، أبن واضح أحمد بن أسحاق بن جعفر بن وهب البغدادي (292 هـ / 904 م) : تاريخ اليعقوبي ، تحقيق خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الأولى ، 1419 هـ / 1999 م.

****

ثانياً : المراجع :

1- أبو شقر ، محي الدين : مدخل الى سيسيولوجيا الأدب العربي ، المركز الثقافي العربي ، بلا مكان الطبع ، الطبعة الأولى ، 2005 م .
2- أمين ، أحمد : فجر الإسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة العاشرة 1969 .
3- الجلاد ، ماجد زكي : تعلم القيم وتعليمها ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة عمان ، الطبعة الثالثة ، 1430 هـ / 2010 م .
4- اسماعيل ، عناد غزوان وجلال الخياط وعلي عباس علوان : مختارات من آثار الجاحظ ، دار الجاحظ للنشر ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، بلا رقم الطبعة ،1401 هـ / 1980م.
5- بارنز ، هاري المز : تاريخ الكتابة التاريخية ، ترجمة محمد عبد الرحمن برج مراجعة سعيد عبد الفتاح عاشور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، بلا مكان الطبع بلا رقم الطبعة ، 1914 م .
6- التستري ، محمد تقي : قاموس الرجال ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، الطبعة الأولى ، بلا تاريخ الطبع.
7- الجابري ، محمد عابد : العقل الأخلاقي العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ، الطبعة الرابعة ، 2011 م .
8- الجلاد ، ماجد : تعلم القيم وتعليمها ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة عمان ، ط 3 1430 هـ /2010 م .
9- جميل ، عصام زكريا : التفكير العلمي ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة عمان ، الطبعة الاولى ، 1433 هـ / 2012 م .
10- حسن ، حسين الحاج : حضارة العرب في عصر الجاهلية ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، 1426 هـ / 2006 م .
11- الحسيني ، هاشم معروف : سيرة الأئمة الأثني عشر عليهم السلام ، منشورات ذوي القربى ، قم الطبعة الثانية ، 1430 هـ .

12- الحكيم ، محمد تقي : شاعر العقيدة السيد الحميري ، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر بيروت ، الطبعة الأولى ، 1422هـ / 2001 م .
13-الزركلي ، خير الدين : الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة السابعة عشر 2007 م .
14- شعيب ، قاسم : تحرير العقل الإسلامي ، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء بيروت ، الطبعة الثانية 2013 م .
15- شمس الدين ، محمد مهدي : واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي ، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1417 هـ / 1996 م .
16- صبحي ، أحمد محمود : الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي ، دار المعارف القاهرة ، الطبعة الثانية ، بلا تاريخ الطبع .
17- العلاق ، علي بن جعفر ومحمد شلش ومحسن اطيمش : الشريف الرضي مختارات من شعره منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، بلا رقم الطبعة 1985م .
18- علي ، جواد : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، آوند دانش للطباعة والنشر بلا مكان نشر الطبعة الأولى ، 1427 هـ / 2006 م .
19- العلي ، محمد : نمو المفاهيم تساؤلات في الوجود والقيم ، النادي الأدبي بالرياض المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، الطبعة الاولى ، 2013 م .
20- فروخ ، عمر : تاريخ الأدب العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعات من الأولى حتى الثامنة (1 – 8) ، 1968 – 206 م .
21- فضل الله ، مهدي : فلسفة ديكارت ومنهجه ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت الطبعة الرابعة 2006 م .
22- كريسون ، أندريه : المشكلة الأخلاقية والفلاسفة ، ترجمة وتعليق عبد الحليم محمود و أبو بكر ذكرى ، بلا دار النشر ، بلا مكان النشر ، بلا رقم الطبعة ، بلا تاريخ الطبع .
23- لوبون ، غوستاف : حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، دار بيبلون ، باريس بلا رقم الطبعة 2008 م .
24- المجلسي ، محمد باقر (ت 1111هـ / 1699 م) : بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام ، تحقيق وتصحيح لجنة من العلماء والمحققين المختصين ، تعليق علي النمازي الشاهرودي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ، الطبعة الأولى ، 1429 هـ / 2008 م .
25- محمد ، السيد حسين نجيب : المحاضرات الأخلاقية ، دار الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع مكتبة دار المجتبى ، النجف الأشرف ، الطبعة الأولى ، 2011 .
26- مغنية ، محمد جواد : فلسفة الأخلاق في الإسلام ، دار الجواد ودار التيار الجديد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، 1412 هـ / 1992 م .

27- المقرم ، السيد عبد الرزاق الموسوي (ت 1391هـ / 1971 م) : مقتل الحسين أو حديث كربلاء ، مراجعة وضبط معهد الإمامين الحسنين (عليهما السلام) منشورات الشريف الرضي قم المقدسة ، بلا رقم الطبعة ، بلا سنة الطبع .

28- الملاح ، هاشم يحيى : الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة ، دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الأولى ، 1428 هـ / 2007 م .

29- ملتون ، جون : الفردوس المفقودة ، ترجمة حنا عبود ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب دمشق بلا رقم الطبعة ، 2011 م .

30- منفرد ، علي نظري : قصة كربلاء وبضمنه قصة الانتقام والثأر ، دار الرسول الاكرم ودار المحجة البيضاء ، بلا مكان الطبع ، الطبعة الرابعة ، 1428 هـ / 1996 م .

31- النجار ، أبراهيم يوسف : المدخل الى الفلسفة ، المركز الثقافي العربي ، بيروت الدار البيضاء الطبعة الأولى ، 2012م .

32- هاني ، إدريس : أخلاقنا في الحاجة الى فلسفة أخلاق بديلة ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي الطبعة الأولى ، 2009 م .

33- يارد ، نازك سابا : : حماد عجرد ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر سلسلة أعلام الفكر العربي الطبعة الأولى ، بلا سنة الطبع .

****

ثالثا : الموسوعات :

1- دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة محمد ثابت العندي وأحمد الشنتناوي وابراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس ، انتشارات جهان ، طهران ، بلا رقم الطبعة ، بلا سنة الطبع .

رابعاً : المواقع الإلكترونية :

1- موسوعة ويكيبيديا الحرة .

2- موقع الموسوعة العربية (***Arab Encyclopedia***) .

****